ذكريات وخواطر

بقلم: صالح طويق

ذكريات وخواطر

بقلم صالح طويق

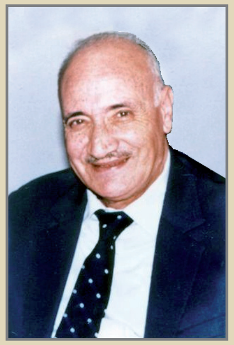

واصلت ممارسة الصحافة لغاية قيام حركة 8 شباط/فبراير 1963 المسلحة (14 رمضان) فقد رفضت بعد ذلك ممارسة كل عمل صحفي أياً كان نوعه – رغم مختلف المغريات – لأن أي عمل كهذا كان سيلزمني أن أساند ذلك الوضع الديكتاتوري الشاذ، أو أن أساير رجاله بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فتركت الصحافة نهائياً بعد خدمة متواصلة دامت ثلاثين عاماً بكاملها، ومارست عملاً آخر بسيطاً وبعيداً كل البعد عن الأمور العامة. وقد تقبلت كل ذلك برحابة صدر كاحتجاج صامت من قلبي – وهو أضعف الإيمان – على ما لحق آنذاك بالديمقراطيين والتقدميين في العراق من الظلم والأذى، وبعد ذلك مباشرةً بحق العديد من أبناء الطائفة اليهودية الذين ذهبوا ضحية للغدر والعدوان.

صالح نعيم طويق

• • •

كان المرحوم صالح طويق مناضلاً بارزاً من اجل الديمقراطية والمساواة والحرية في العراق. كان يمثل الجيل الثاني من المثقفين اليهود الذين نشأوا على القيم الحضارية الغربية، وعلى حرية التعبير والمساواة والعدل. لقد اعتبر المرحوم نفسه يهوديا فخورا وعراقيا وطنيا، يعمل بكل إخلاص من اجل وحدة الشعب العراقي بواسطة الصحافة والفعاليات الحزبية المنظمة والشرعية. لقد منحته ثقافته الغربية وتمكنه من اللغتين الانجليزية والفرنسية وآدابهما مكانة خاصة كأديب وناقد وصحفي.

الأستاذ د. شموئيل موريه – جائزة الدولة في الأدب العربي، الجامعة العبرية

• • •

Saleh Twaig was remarkably innovative in his field. During World War II he was the first journalist to invent a shorthand of his own whereby he took down the latest news as broadcast from English and French radio stations, simultaneously translating into Arabic up-to-date coverage of the war for his newspaper, while it took double that time for the same news to appear in its rivals. Again, he was in this sense the first Iraqi journalist to bring news to the public ‘on-line’

Mr. Nessim Daoud – London

• • •

ويصفه أصدقاؤه والمقربون إليه بكونه دائرة معارف إنسانية كبيرة ذات موهبة أدبية وصحفية فريدة، خلقت بشكل إنسان مرهف الحس ذي قلب رحب، رجل كلّل بإكليل غار من التواضع، مثبتاً قول اينشتاين المأثور إن قيمة الإنسان الحقيقية تقاس بمدى تحرره من كلمَة "أنا".

الأستاذ الأديب مازن لطيف - بغداد

• • •

لقد تسنى لي ان أعرف صالح طويق من خلال أحاديثه الأذاعية - صباح الخير - وقبل أن تنام - ولا أبالغ القول ان هذه الكلمات كانت تبعث في النفوس الامل وسط قبح وهستيرية الاحداث التي نعانيها، كانت بمثابة نسمة عليلة تبعث الطمأنينة في النفس فتغفو العيون مطمئنة بعد سماعها لكلماته الرقيقة المرهفة الحس.

الأستاذ الدكتور محمود عباسي – رئيس تحرير مجلة الشرق، شفا عمرو

• • •

بَغْدادُ لا تَنْسَيْ فَتَاكِ   فَإِنَّهُ حُرُّ الضَّمِيرِ
لَقَد اصْطَفاكِ حَبِيبَةً   مِنْ بَعْدِ رَبّاتِ الخُدُورِ
وَسَقاكِ مِنْ ذَوْبِ الشَّبابِ   عُصَارَةَ الكَبِدِ الحَرُورِ

الاستاذ الأديب والشاعر مراد العماري

ذكريات وخواطر

أثر المواطنين اليهود
في
المجتمع العراقي الحديث

مفكرون يهود لمعت اسماؤهم
في عالم الصحافة والأدب

بقلم صالح طويق

مراجعة

أ.د. شموئيل موريه

أورشليم- القدس، رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق،

2011-2012

Association of Jewish Academics from Iraq
P.O.B. 1147, Mevasseret Jerusalem 90805, Israel
Tel. & Fax : 972-2-5341044
E-mail:
moreh2007@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة لعائلة المؤلف صالح نعيم طويق ورابطة
الجامعيين النازحين من العراق في إسرائيل
رقم 39

رابطة الجامعيين النازحين من العراق

رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق، هي جمعية علمية ثقافية اجتماعية أدبية تأسست عام 1980 غرضها تعزيز التعاون بين الجامعيين اليهود النازحين من العراق في مجال البحث العلمي والنشاط الاجتماعي والثقافي والأدبي والفني عن طريق نشر مؤلفات اليهود النازحين من العراق والأبحاث التي كتبت عن يهود العراق وعقد الندوات العلمية والثقافية والأدبية.

الرئيس الفخري – البروفيسور نعيم دنكور (O.B.E) – لندن.

أعضاء مجلس الإدارة – البروفيسور شموئيل موريه - رئيس.

المحامي حسقيل فتال - القائم بأعمال الرئيس، المحامي شاؤول بار حييم – نائب الرئيس، البروفيسور يوسف كباي – أمين الصندوق، الدكتور دافيد سجيف، الدكتور نسيم قزاز، الشاعر – عزرا مراد، شلومو شابيرا، ابراهام كحيلة.

لجنة المراقبة الدكتورة سيجال كرجي، السيدة أسنات ابراهامي،

الاستاذ نعيم نتانئيل حلبي.

جميع الحقوق محفوظة لعائلة المؤلف

ولرابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة الكتاب أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة عائلة المؤلف أو من خولت له هذه الحقوق قانونيا

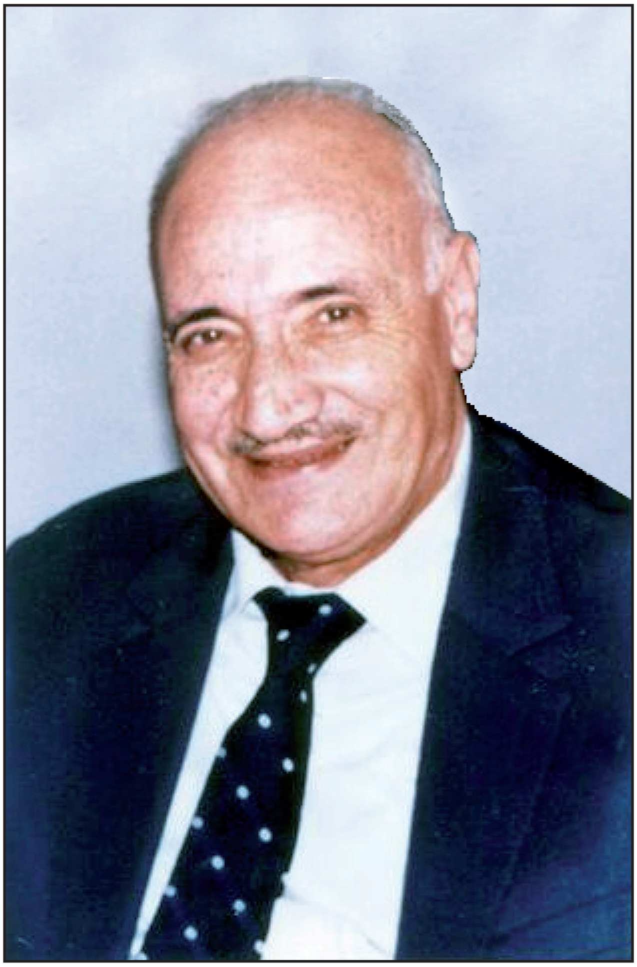

صالح نعيم طويق
بغداد 1916- تل أبيب 1989

الإهداء:

الى أبنائنا وبناتنا الأعزاء

أحفاد الوالد المرحوم صالح نعيم طويق،

رونيت مان

الياهو وشيرا خلاصجي

أورن، غاي وتومر طويق

من ابنائه المخلصين

اسحق (رياض) وايغال (وسيم) طويق

وراحيل خلاصجي

المحتويات

صفحة

كلمة شكر وتقدير 11

أثر المواطنين اليهود في المجتمع العراقي الحديث

مجلة الحاصد: سيرتها ومسيرتها

نظرة تمهيدية 13

شعلة مضيئة - أنور شاؤول 16

صحافة متطورة وأدب متطور 18

في غمرة النضال ضد الديكتاتوريات 21

الحاصد والقصة العراقية الحديثة 26

ثلاثة أعلام في الشعر والقصة والمقالة

مراد ميخائيل - جبران العراق 29

شالوم درويش وأسلوبه "الفولتيري" 31

عزرا حداد - في طليعة كتاب البحوث 34

أسماء أخرى لمعت في الحاصد

يوسف مكمل 37

مئير حداد 39

صدقي محلب 40

استر ابراهيم - سيدة تساهم في مجهود الحاصد 41

أدباء آخرون ومراسلون 43

ذو الصناعتين الدكتور نور الله 44

كاتب هذا البحث - من طريف ما أتذكر 45

ملحق للبحث

مئير بصري - مساهمة مأثورة 46

منشي زعرور "السميذع العربي" 49

صالح طويق - جوانب من عملي الصحفي وزملاء أعجبت بهم 51

يعقوب خزمة - رجل الصحافة والقانون 53

اسحق بار موشيه - مؤلف "الخروج من العراق" 55

العماري والبصون نجمان في عالم الصحافة 57

مراد العماري - مواقف جريئة وأفكار نيرة 58

سليم البصون - ألمعية صحفية وانطلاقة فكرية 61

الأديب يعقوب بلبول 64

نعيم صالح رحميم - صحفي وراء الأخبار 65

الأستاذ مئير زكريا 66

جريدة "البريد اليومي" 68

صحفيون آخرون 69

مسك الختام

فهيمة ابراهيم - رائدة وباحثة اجتماعية 70

الزميلة ماتيلدا يوسف داود 71

الزميلة رني طويق 73

كلمة لا بد منها 74

شخصيات ومقالات اخرى

للحقيقة والتاريخ - الحاخام ساسون خضوري رحمه الله 76

كتاب "بعيد...وقريب" للأستاذ عزت معلم 79

أشعار انسانية في خدمة الحقيقة والتاريخ - كيف كانت نهاية قصر النهاية في بغداد؟ 83

ماذا حدث ... عندما أُريد لزهور حديقتنا ورياحينها الذبول؟ 90

القصة العراقية

مقدمة 96

فهرست القصة العراقية - نعيم طويق 98

البائسة - الاخاء الوطني - 27 حزيران 1932 99

تأوهات - الاخاء الوطني - 28 حزيران 1932 101

أنين وبكاء - الاخاء الوطني - 30 حزيران 1932 104

سر الرسالة الصفراء - الحاصد - تموز 1936 108

وقائع الحفل التأبيني

كلمة البروفيسور شموئيل موريه 115

كلمة الصحفي والشاعر مراد العماري 117

قصيدة "فقدتك يا نعيم" للشاعر مراد العماري 123

"في الذكرى الثلاثين" للشاعر سليم شعشوع 126

"عظمة صالح طويق في تواضعه" للأستاذ الدكتور محمود عباسي 127

مقالة الأستاذ مازن لطيف

صالح (نعيم) طويق.. شخصية فذة في تاريخ الصحافة العراقية 129

صور وشهادات 134

مقالة الأستاذ نسيم داود – لندن - باللغة الانكليزية 144

الأهداء باللغة الانكليزية 146

قائمة مطبوعات رابطة الجامعيين اليهود باللغة الانكليزية 149

كلمة شكر وتقدير

أقدمها للأساتذة الأفاضل والأخوة والأخوات الكريمات

الذين ساهموا جميعا في تحقيق حلم قديم

بعد انتقال والدي المرحوم صالح (نعيم) طويق في يوم 13.4.1989 الى رحمة ربه، وفي اليوم السابع عشر للوفاة، حلمت باني أنجز مهمة كان والدي قد كلفني بها، وهي إيصال مجموعة من الكتب الى الطابق العلوي من بناية تشبه الجامعة، والعودة اليه بعد تأدية هذا الواجب.

ومرت الأيام والسنون ...

وبعد عشرين عاماً، راودتني فكرة اصدار كتاب لنشر بعض ما تم اختياره من تراث الوالد الأدبي الضخم مما كتبه هنا في اسرائيل وهي "ذكرياته وخواطره" والتي قام اخوتي الأعزاء رياض ووسيم، بعد رحيله ورحيل الوالدة من بعده، بالحفاظ على كل قصاصة ورق وعلى كل نسخة مما كان قد كتب، كاحتفاظهم بنور عيونهم خلال كل هذه السنين الطويلة، وذلك بغية تعريف احفاده بأدب جدهم وبمكانته المرموقة في الأدب والصحافة العربية.

وخطوتُ الخطوة الأولى واتصلتُ بالأستاذ والأديب الفاضل البروفيسور شموئيل موريه، أستاذ الأدب العربي في الجامعة العبرية، والذي أخذ على عاتقه الحفاظ على أدب يهود العراق باللغة العربية، والتمست منه إرشادي إلى نشر بعض مما خلفه الوالد في كتاب. فأبدى رغبته وحسن نيته بالمساعدة وتلقيت منه وافر التشجيع والحث على مواصلة السير في هذا الطريق. فضلاً عن ذلك، فقد كرس لي وللمشروع العديد من الساعات من وقته الثمين.

وفي هذه المرحلة اتصلت أيضاً بالأديب والمترجم الكبير الأستاذ نسيم داود في لندن، للقيام باستشارته في هذا المجال، فسررت جداً بترحيبه بالفكرة، واستعداده لتقديم خدمة جليلة بأخذ المشروع على عاتقه وذلك بطبع المقالات على الحاسوب في مكتبه في لندن وإعدادها للنشر. كل ذلك مع الامتنان والسرور بتهيؤ الفرصة لرد الجميل لهذا الأديب الانساني صالح (نعيم) طويق. وبهذا أسدى لنا بدوره هو، فضلاً لا ينسى ببادرته النبيلة هذه.

أما الأخوات العزيزات سعاد سبتي، من منتسبي مكتب الأستاذ نسيم داود في لندن والتي قامت بطباعة محتويات الكتاب، وصديقتي الحميمة مارسيل مئير عزرا، فقد واكبتا سيري في الطريق، منذ اتخاذي الخطوة الأولى، وأبديتا كل مساعدة ممكنة في أداء هذه المهمة، بالإضافة الى التشجيع

المتواصل، وبهذا استقيت منهما العزم على إكمال المشروع والوصول الى الهدف المنشود.

وشاءت الصدف بان التقي بامرأة مفسّرة للأحلام اسمها أوريئيلا فاز مورين، وعند سؤالي عن معنى حلمي القديم الذي سبق ذكره، قالت لي بكل ثقة، وهي لا تعرف شيئا عن المشروع أو عن التراث الذي تركه الوالد، "إن والدك يطلب منك ان تقومي بايصال تراثه الى الأجيال القادمة". وهذا الأمر زادني عزيمة على المضي في الطريق لنشر هذا التراث.

وفي هذه المرحلة، ولحسن الحظ، تمكنت من مراسلة الاديب والصحافي القدير الاستاذ الفاضل مازن لطيف، الذي بدوره قام بمفاجأتنا بصورة تدل على أريحيته ونبل أخلاقه. فقد تطوع مشكورا بإرسال ، وبدون ان نطلب منه ذلك، قائمة القصص التي كتبها الوالد عندما كان فتىً في مطلع شبابه وهو لم يزل تلميذ مدرسة. وقد قام الأخ مازن بمهمة تصوير البعض من هذه القصص رغم الصعوبات الجمة التي جابهته، وذلك بعد ان نالنا اليأس من العثور على أي اثر من تلك الفترة من التاريخ، في مكتبات اسرائيل.

ولا يسعني الآن، وأنا أرى كيف سوف يتحقق حلمي القديم ابن الأثنين والعشرين عاما، إلا ان أقدم جزيل شكري ووافر امتناني وتقديري الصادرين من اعماق قلبي للأساتذة الأفاضل وأخوتي الأعزاء والأخوات الكريمات. فلولا مساعدة وتشجيع كل من البروفيسور شموئيل موريه والاستاذ نسيم داود والاستاذ مازن لطيف واخوتي رياض ووسيم الاعزاء والاخوات الكريمات سعاد سبتي ومارسيل مئير عزرا العزيزات، لما توصلت لتحقيق الحلم القديم وتأدية المهمة والغاية المنشودة.

وأما مسك الختام وهو طبع الكتاب وصورة غلافه، فقد قامت بالتصوير الرائع الحفيدة العزيزة شيرا خلاصجي، والاخت العزيزة ميخال طولبان ساعدت بتوضيحه بصورة فنية تدعو للإعجاب. وأما االاخت ربيتال ليوي فقد اعدته للطبع بصورة دقيقة وفنية. فشكري وتقديري لكل هذه الكفاءات.

وسؤالي الآن: كيف يمكنني ان أسجل بين هذه السطور شكري وتقديري العميق لكل من ساهم في هذا المشروع، وأنا الابنة التي لم ترث من والدها الأديب الكبير ووالدتها مدرّسة اللغة العربية المتميزة، قوة التعبير والموهبة الأدبية، لكي أعبر عن مشاعري بأحلى وأجمل التعابير الأدبية كما تميّز بها المرحوم والدي ، ولكي أكون جديرة بكوني ابنته ؟

تشرين الأول 2011

راحيل خلاصجي

نشرت جميع هذه المقالات في غضون عام 1976 في صحيفة الأنباء الاسرائيلية

مجلة الحاصد: سيرتها ومسيرتها

نظرة تمهيدية

كفاح متواصل من أجل بناء صرح النهضة الأدبية والاجتماعية في العراق.

كفاح متواصل في سبيل رفع لواء الوحدة العراقية الصادقة، وحدة الشعب العراقي بجميع قومياته وطوائفه وأديانه.

وكفاح متواصل على درب الإصلاح والتقدم والديمقراطية وخدمة الحق والعدالة والحرية.

هذه هي الخطوط الأساسية لأهداف نبيلة سعت إليها مجلة أدبية واظبت على الصدور طيلة الفترة من 14 شباط/فبراير 1929 لغاية 31 آذار/مارس 1938 رغم المصاعب والمتاعب العديدة التي وقفت في طريقها، فسجلت لنفسها صفحات مجيدة في تاريخ الصحافة الرائدة، وقدمت خدمات جلة للأدب والأدباء بتشجيعها الحركة الأدبية تشجيعاً لم يسبق له نظير في العراق، وأخذت بأيدي الأجيال الصاعدة من الكُتاب الشباب، مرشدة وهادية، فكانت بحق مناراً للأدب الرفيع بجميع فنونه، وملتقى لنخبة من أصحاب الكفاءات والمواهب الأدبية جمعت بينهم على اختلاف طوائفهم وأديانهم رابطة الوطنية الحقة والأخوة الصادقة والرغبة الصميمة في إسداء كل خدمة ممكنة للشعب والوطن، وكانت في الوقت ذاته عنوان فخر واعتزاز للطائفة اليهودية في العراق بما كان يعنيه مجرد صدورها آنذاك من مساهمة لها قيمتها ووزنها في تطور قطر ناشئ راح ينفض عنه غبار السنين ويتطلع إلى الحرية والاستقلال والتقدم.

تلك هي مجلة "الحاصد" ... وتاريخ مجلة الحاصد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الأدب العربي الحديث عامةً، وفي العراق بوجهٍ خاص، كما يرتبط بحركة التطور الاجتماعي في بلاد الرافدين.

ولا يتيسر لأي باحث أن يقيّم مكانة الحاصد تقييماً صادقاً ويعرض ما كان لها من مكانة في حياة العراق عامةً إلا في ضوء دراسة الظروف والمراحل التاريخية التي مرت بها البلاد في تلك الفترة. فبقدر ما عاشت الحاصد تلك الظروف، كان لها أثرها الملموس في توجيه الرأي العام العراقي وجهة وطنية وديمقراطية سليمة. وبقدر ما تأثرت الحاصد بأحداث البلاد التي كانت ظاهرة جلية على صفحاتها، كان لها صداها في تلك الأحداث وتأثيرها على المراحل التي مرت بها. وبقدر ما كان للحاصد من مواقف مأثورة وطنياً، كانت صفحة ناصعة في تاريخ الطائفة اليهودية الحافل بالمآثر والمنجزات في العراق. وفي ضوء هذه الحقائق كافة، نستطيع الإلمام بتاريخ مجلة الحاصد بجميع أبعاده.

لقد صدرت مجلة الحاصد في 14 شباط/فبراير 1929 بعد أن حصل الأستاذ أنور شاؤل على امتياز لإصدار مجلة أدبية أسبوعية بهذا الاسم. وكان قصده من هذه التسمية واضحاً كل الوضوح، وهو أنه أعد من نفسه وبمساعدة إخوانه، فلاحاً يكد ويجد ليقدم إلى القارئ صباح كل يوم خميس من كل أسبوع حصاداً أدبياً ثميناً. وظهرت الحاصد أول ما ظهرت خلال السنة الأولى من حياتها الحافلة على شكل جريدة أسبوعية من القطع المتوسط على غرار ما يصدر الآن في بعض الأقطار العربية، ورغم قلة عدد صفحاتها بالقياس إلى عدد الصفحات التي صدرت بها فيما بعد، فإنها كانت حافلة بالمواضيع والبحوث الأدبية والاجتماعية الطريفة، فضلاً عن المقالات والقصص التي كانت تنشرها لعدد من الكتاب والأدباء حينذاك. وكانت جهود المجلة في نشر تلك المقالات ظاهرة من أبرز الظواهر حينذاك. والسبب هو أن أغلب المجلات والصحف الأدبية الصادرة آنذاك كانت تعتمد على المقص في صدورها، أي أن أكثر ما كانت تنشره كان مقتبساً من مختلف الصحف والمجلات المصرية واللبنانية والسورية الخ ... حتى أن بعضهم سمى المقص على سبيل الدعابة (حضرة رئيس التحرير المقص)، وقلما قدم أي منها مجهوداً عراقياً صميماً خالصاً للأدب العربي بقدر ما قدمته الحاصد منذ السنة الأولى لصدورها. وهكذا حصلت الحاصد على ميزة لم تسبقها في الحصول عليها أية مجلة عراقية أخرى.

ومما أتخطره شخصياً عن تلك الفترة هو إن الأستاذ أنور شاؤل شاعر الشباب – كما كان يسمى آنذاك – كانت له شهرته قبل إصداره الحاصد بفترة غير قصيرة، فما كادت تصدر الحاصد حتى

أحرزت هي الأخرى شهرة واسعة في مختلف الأوساط، فلم يلبث الأستاذ أنور شاؤل أن أصبح يُعرف باسم (صاحب الحاصد) دلالة على شهرة الحاصد وصاحبها في آن واحد. وقد لا تدري أيهما أشهر يومـذاك: الحاصـد أم أنور شاؤول؟

وقد أبى صاحب الحاصد إلا أن يخوض بمجلته غمار الحياة العامة باعتبار أن النهضة الأدبية التي يناضل في سبيلها ما هي في الواقع إلا جزءاً لا يتجزأ منها، فكتب ما كتب ونشر ما نشر من بحوث وأخبار وطرائف وشذرات من صميم الحياة السياسية والاجتماعية للبلاد، جنباً إلى جنب مع المقالات والبحوث الأدبية، فكان ذلك في نظر الحاكمين بأمرهم وبغير أمرهم في العراق مخالفة لا يمكن أن تغتفر لصاحب الحاصد، فأخذوا يتحينون الفرصة الملائمة لاتهام المجلة بالخروج على خطتها السياسية ومن ثم تعطيلها، فاستغلوا لهذا الغرض صورة كاريكاتورية نشرتها المجلة على صدر صفحتها الأولى (وهي غلافها في نفس الوقت) عن أحد المرشحين أنفسهم في انتخابات المجلس النيابي، فبادروا إلى تعطيلها لأجل غير مسمى بحجة الخروج عن الخطة المرسومة لها.

ظـروف وأوضـاع

وقبل أن انتقل إلى استئناف صدور المجلة في السنة التالية (1930)، نرى لزاماً علينا، إيفاءً للبحث حقه، أن نتطرق إلى الأوضاع والظروف السياسية التي كان يعيشها العراق آنذاك لنستنتج من ذلك كيف ساهمت الحاصد في تحقيق تطلعات الشعب العراقي وأمانيه الوطنية. لقد كان الشعب العراقي يعيش آنذاك آخر سنوات حكم الانتداب البريطاني، وكانت الحركة الوطنية المنادية بالاستقلال والسيادة والتحرر من الاستعمار ومن كل نفوذ له في البلاد، قائمة على أشدها. وكان الشعب رغم الطبيعة الاستعمارية لذلك الحكم ينطلق في ممارسة حقوقه السياسية من دون قيد أو شرط، فكنت ترى الأحزاب والنقابات والجمعيات تعقد الاجتماعات الشعبية للدعوة إلى مطالبها الوطنية، وكانت الصحف تنشر المقالات الجريئة للمطالبة بمجيء حكومة وطنية تأخذ على عاتقها تحقيق استقلال البلاد السياسي، ومن ثم تحقيق الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية التي يحتاج إليها الشعب لرفع مستوى حياته العامة، والعمل على ترفيهه وإسعاده.

وقد انعكست كل تلك الاتجاهات بشكل أو بآخر على صفحات الحاصد، فكانت أعداد الحاصد آنذاك حصاداً حقيقياً يانع الثمار في تلك الحقول الوطنية الواسعة. ولا عجب أن يتأثر بكل ذلك شاعر شاب مخلص لوطنه ومحب لمبادئ الحرية والعدالة والديمقراطية ومؤمن بالمساواة والتقدم والوحدة العراقية الصادقة، كالأستاذ أنور شاؤل، فاندفع إلى المشاركة بمجلته قدر المستطاع في التوعية والتوجيه، فدلل على ذلك أن أبناء الطائفة اليهودية في العراق كانوا – كلما تيسر لهم الأمر– يمضون قُدماً في خدمة البلاد والشعب بكل ما يملكونه من روح التفاني والإخلاص والتضحيـة، وهـم لا يدرون ما كان يخبئه لهم الغد الأليم من المآسي والنكبات المتتابعة التي حلت بطائفتهم فيما بعد. ولا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا إن الطائفة اليهودية في العراق كانت تشعر بأنها جزء لا يتجزأ من الشعب العراقي، تشاركه يسره وعسره وتساهم وإياه في تحقيق أمانيه الوطنية. وقد كانت جميع مواقف الحاصد صورة من عدة صور صادقة لذلك الاتجاه الوطني الصميم في تلك المرحلة المهمة من مراحل تاريخ العراق الحديث، وبذلك فندت الحاصد بصورة عملية وقاطعة كل ادعاء بكون اليهودي لا يمكن أن يكون مواطناً مخلصاً للشعب الذي يعايشه والبلد الذي يعيش فيه.

شـعلة مضيئـة

أنور شاؤل

ومع إننا لسنا الآن بصدد تصوير سيرة حياة صاحب الحاصد التي كانت تتقد وطنيةً وإخلاصاً، والتي كانت الحاصد صورة بل مرآة صادقة لها بكل معنى الكلمة، إلا أننا نقول تثبيتاً لحقيقة تاريخية إن دراسة الأستاذ أنور شاؤل الابتدائية والمتوسطة كانت في مدرسة الأليانس الأهلية في بغداد (وكانت تسمى مدرسة ألبير داود ساسون الأهلية، وهي المدارس التي أُطلق عليها عند تأسيسها في مختلف بلدان الشرق الأوسط وأفريقيا الشمالية في منتصف القرن التاسع عشر اسم "مدارس الاتحاد الإسرائيلي العالمي")، نقول أن دراسته تلك لغاية عام 1923 كانت من العوامل الأساسية التي ألهبت فيه الروح الوطنية الصادقة ووجهته الوجهة السليمة نحو ميادين الخدمة العامة. ففي مقدمة الأسس التي تبنتها مدارس الأليانس الإسرائيلية منذ استحداثها في البلدان المشار إليها، أنها أولاً جعلت أبوابها مفتوحة لجميع

أبناء الطوائف والأديان الأخرى، جنباً إلى جنب مع أبناء الطائفة اليهودية في البلد الذي يعنيه الأمر، وأنها ثانياً جعلت رائدها تربية الطالب اليهودي منذ دخوله صفوفها الأولية تربية وطنية سامية عبرت عنها أنظمة هذه المدارس تعبيراً رائعاً إذ أنها تضمنت ما يستوجب تثقيف الطالب اليهودي تثقيفاً وطنياً خالصاً ليصبح مواطناً مخلصاً للبلد الذي يعيش فيه، وإلى جانب ذلك تدريسه تاريخ الشعب اليهودي وجعله ملماً ببطولة أجداده المناضلين القدامى وشجاعتهم وتضحيتهم، ليستلهم من كل ذلك روح التفاني والشهامة والإخلاص في حياته الخاصة والعامة. وقد أثبت الطالب النجيب أنور شاؤل، وهو في تلك المدرسة، مدى تجاوبه العميق مع تلك المفاهيم واستيعابه التام لذلك الإلهام الوطني الذي ظل يسير حياته إلى الآن، والذي كان يجد له في أخلاق أنور النبيلة واستقامته ورقة حاشيته تربة خصبة للنمو والازدهار. وقد كان بودي أن استرسل في سرد وتحليل شخصية أستاذي وملهمي حب الأدب والصحافة والوطنية ومرشدي الأمين الوفي أنور شاؤل لولا وقوفه "حاجزاً" بوجهي في هذا الصدد بدافع تواضعه الجم الذي هو في نظري أرفع مراحل السمو الخلقي الأصيل.

وقِس على نشأة صاحب الحاصد هذه، ظروف نشأة سائر الموهوبين والأدباء والفنانين والصحفيين من أبناء الطائفة اليهودية في العراق، سواء منهم من تلقى تعليمه الابتدائي حتى الثانوي في مدرسة الأليانس أو في أية مدرسة أخرى من مدارس الطائفة اليهودية في العراق على كثرتها آنذاك. ويدخل أيضاً ضمن هؤلاء خريجو المدارس الرسمية من أبناء الطائفة إذ نهج الجميع النهج الذي جعل منهم شخصيات مخلصة ومحبوبة، هذا النهج الذي قضى عليه الحاكمون في العراق، فترة بعد فترة، وعاماً بعد عام، حتى بلغ أبعاداً مأساوية اثر حركتي 8 شباط/فبراير 1963 و 17 تموز/يوليو 1968 فانقلب رأساً على عقب بالنسبة إلى البقية الباقية من أبناء الطائفة اليهودية في العراق آنذاك، ولسان حالهم يردد هذا البيت الشجي من قصيدة (الحلة – عروس الفرات) التي كان قد نظمها الأستاذ أنور شاؤل في عام 1955:

شواطئ كم شدنا عليها مساكنا

من الرمل خلناها مخلدة دهرا

صحافة متطورة وأدب متطور

ولكي لا نشذ عن سياق هذه الدراسة الخاصة بمجلة الحاصد نود أن نستدرك هنا فنستأنف البحث في مراحل تطور الحاصد بعد انتهاء مدة تعطيلها ومعاودتها الصدور في عام 1930 حتى احتجابها في عام 1938، ونسجل أن السنة الثانية للحاصد شهدت صدورها بثوب قشيب جديد وبشكل مجلة تقع في نحو 32 صفحة مبوبة تبويباً جميلاً ينم عن الذوق الفني الرفيع لصاحبها، وكان صدورها بذلك الشكل الجذاب الذي بقيت محافظة عليه إلى الأخير بمثابة قفزة جبارة للصحافة العراقية عامة في ميدان الفن الصحفي لم تسبقها إليه مجلة أخرى. وبصدور الحاصد على هذا النحو تكون قد ظهرت للمرة الأولى في العراق مجلة تحررها أقلام عراقية ابتداءً من الافتتاحية إلى آخر موضوع فيها. وكانت افتتاحياتها عادةً بقلم صاحب الحاصد نفسه، وكانت جريئة غاية الجرأة فإنها رغم تركيزها في حيز ضيق لم يكن ليتجاوز، عادةً، الصفحة الأولى منها، كانت تتناول بالبحث والمعالجة أوضاعاً ومشاكل وقضايا في غاية الأهمية للشعب والبلاد، وغالباً ما كانت تتجاوز الحدود الأدبية المرسومة لها. وبذلك كان صاحب الحاصد سبّاقاً للبرهنة منذ أوائل الثلاثينات على إيمانه العميق بأنه ليس هناك (أدب للأدب) أو (فن للفن) بل هناك أدب لخدمة الشعب وتثقيفه، وفن لصقل عواطفه وتوجيهه وجهة سليمة، وإن الصحافة، الأدبية منها والسياسية على السواء، ما وجدت لغرض الترف أو الهواية المجردة بل لغرض الخدمة العامة في المقام الأول وقبل كل شيء آخر.

ويكفي أن نورد مثالاً لجرأة الحاصد وإقدام صاحبها، وهو إنه نشر في 7 آذار/مارس 1929 كتاباً مفتوحاً إلى المعتمد البريطاني (الجديد) في العراق السر جلبرت كلايتن عرض فيه بكل جرأة مطاليب العراق الوطنية متحدياً بذلك قانون المطبوعات وما يفرضه من قيود على مجلة أدبية كالحاصد ومما قاله: "إن العراق يطلب الاستقلال التام الناجز الذي لم يموه بالألوان الكاذبة التي تخفي عن العين ما كمن تحته، وإن أبنـاء العراق، يا فخامة العميد، يمقتون أساليب السياسة الشمطاء الماكرة التي تدس السم في الدسم ..." وكذلك مقاله الافتتاحي الخاص بالمطالبة بإصلاح وتعديل بل وإلغاء أي قانون قائم في البلاد يتنافى مع مصلحة الشعب، حتى تصبح التشريعات المعمول بها متمشية مع روح العصر الحديث ومحققة للهدف الأساسي من وضعها وهو تلبية احتياجات الشعب وضمان مصالح البلاد. وقد أحدث المقال في حينه ضجة كبرى في مختلف الأوساط العراقية. فإن معالجة موضوع خطير كهذا كانت تتطلب جرأة نادرة من الكتاب والصحفيين آنذاك. ومما جاء في ذلك

المقال إنه "مما زاد العاقبة وخامة أن أكثر هذه القوانين المشكو منها تتناول السواد الأعظم من الشعب، هذا الشعب الكادح الذي يريد الإنعتاق من قيود الفقر والبؤس والهوان". وجاء في المقال أيضاً إنه "لئن كان القارئ يعلم أن هناك قوانين سُنت ونُفذت لمنفعة الأفراد وعلى حساب المجموع فلا نخاله يدري أن هناك قوانين أُريد بها النفع العام فاكتسبت الصفة القانونية ووضعت موضع التنفيذ ولكنها ظلت، رغم ذلك، حبراً على ورق!"

وثمة مقال آخر لمثل هذه الجرأة هو التزام الحاصد جانب الحركة الوطنية والدفاع عن الوطنيين، فنادت بوجوب معاملة المجرم السياسي غير معاملة المجرم العادي. فنشرت مثلاً في هذا الشأن: "إن الجرائم السياسية تكون أحياناً مستطيرة الشر وخيمة العاقبة ولكن أليس من الواجب أن نتذكر أن نفس المجرم السياسي ليست بالنفس المطبوعة على الشرور والمظالم وأنه يأتي ما يأتي عن عقيدة وإيمان؟ ولذا كان من مميزات القوانين العقابية الحديثة العهد في الممالك المتمدّنة أنها فرقت بين المجرم السياسي والمجرم العادي في أمور أهمها: (1) عدم معاقبة المجرمين السياسيين بالإعدام. (2) اختلاف عقوباتهم عن عقوبات المجرمين العاديين. (3) عدم حبسهم مع مرتكبي الجرائم العادية في حبس واحد. (4) كونهم محطاً للعفو العام. (5) عدم سريان قاعدة استرداد المجرمين عليهم". وطالب صاحب الحاصد بأخذ هذه الملاحظات بنظر الاعتبار لتعديل (قانون العقوبات البغدادي) الذي قال إنه وليد الاحتلال، لم يأبه بهذه الجهات فلم يفرق، كما لم تفرق أنظمة السجون، في أي حال، بين المجرم السياسي والمجرم العادي". (الحاصد – العدد 21 السنة الثانية في 11 كانون الأول/ديسمبر 1930).

ومن الطبيعي أن انتهاج الحاصد مثل هذا النهج الوطني الجريء كان يعني أنها مستقلة ومتحررة من كل نفوذ حكومي أو ضغط أو إغراء من أي مصدر كان، وأنها تعاني التضحيات المادية بسبب ذلك في سبيل محافظتها على شرف الكلمة ورفعها لواء الصحافة الحرة عالياً ولو في حدود الميدان الأدبي المرسوم لها، مما جعلها موضع التقدير والإعجاب وخلق لها جمهرة كبيرة من القراء الذين كانوا حريصين على انتظار حلول صباح الخميس من كل أسبوع ليتهافتوا على مطالعتها بكل لهفة وشوق.

فيما يلي عناوين بعض المقالات الافتتاحية الجريئة التي نشرها صاحب الحاصد:

المجرمون السياسيون

وكيف تنظر إليهم القوانين الحديثة

خففوا عن كاهل دافع الضريبة

وأنصفوا الفلاح العريان!

التشريع العراقي

أخطاؤه، مساوئه، ومظالمه

في غمرة النضال ضد الديكتاتوريات

كفاح جريء

استكمالاً لبحثنا عن افتتاحيات الحاصد، نستطرد لنقول إنها ظلت تدور حول معالجة مختلف المواضيع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكل ما يمت إلى مصالح الشعب الحيوية بأوثق صلة، كما إنها وقفت بكل شجاعة وإخلاص إلى جانب قضية الحبشة الوطنية العادلة ضد عدوان الاستعمار الايطالي الفاشي الغاشم، وساندت كفاح الشعب الحبشي – بالإضافة إلى نشرها قصيدة صاحب الحاصد الشهيرة بعنوان (عذراء إثيوبيا أو جان دارك الحبشة) متحدية بكل جرأة وإخلاص وشجاعة تلك العناصر المتنفذة التي جعلت نفسها في العراق أداة دعاية للفاشية الايطالية واعتداءاتها على الحبشة. كما كافحت الحاصد بلا هوادة، النازية، منذ استفحال أمرها حتى سقوطها، فحاربت بذلك الروح العنصرية النازية التي لقيت لها في العراق تربة خصبة لإثارة الحزازات الطائفية والدينية بين أبناء الشعب الواحد. ومع أن تلك العناصر ودسائسها كانت تؤلف خطراً لا يُستهان به، إلا أن الحاصد لم تعبأ بذلك الخطر بل سارت قُدماً في طريقها المرسوم، كما أنها إلى جانب هذا كله كانت تطالب على الدوام بضمان حرية الرأي والعقيدة، وتدعو إلى الإصلاح الشامل في جميع ميادين الحياة للنهوض بالعراق إلى مصاف الدول الديمقراطية العصرية المتحررة. ولحسن حظ الشعب العراقي عامةً وقراء الحاصد خاصةً، أن الحاصد قد سلمت بأعجوبة من جميع الأخطار التي أحدقت بها رغم ما كانت تحيك لها سفارة ألمانيا الهتلرية في بغداد برئاسة (الهر غروبه) الذي كثيراً ما شكاها إلى السلطات، فكانت هذه تبادر إلى تنبيه الحاصد إلى عدم التطرق إلى ما يثير حفيظة النازيين. وظلت الحاصد مستمرة على الصدور لتتحف قراءها بكل ما يفيد البلاد ويسهم في إنهاضها بما نشرته من افتتاحيات على هذا النحو الجريء. والأعجب من كل ذلك إن الحاصد قد سلمت ونجت من قبضة ديكتاتورية ياسين الهاشمي رئيس الوزارة آنذاك، الذي أطلق على نفسه لقب (بسمارك العرب) تعبيراً عما يكنه من حقد عميق على الحرية والأحرار، والذي قضى بالفعل على جميع مظاهر الحياة الديمقراطية في العراق من أحزاب ونقابات وصحف حرة وغيرها.

وعلى أثر انقلاب تشرين الأول/اكتوبر 1936 الذي أطاح بديكتاتورية ياسين الهاشمي وجاء بنخبة من الساسة الوطنيين والتقدميين للمشاركة في الحكم الجديد، سجلت الحاصد لنفسها صفحة لامعة بدفاعها المستميت عن المبادئ الوطنية الديمقراطية التي تبنتها، ودعت إلى كل ما يعود على الشعب بالنفع العميم، منافحة عن حقوق الفلاحين، ومنددة بمظالم الإقطاع، وداعية إلى إلغاء القوانين والأنظمة الزراعية الجائرة واستبدالها بقوانين تضمن الحق والعدالة لجماهير الفلاحين. كما دعت الحاصد إلى إنصاف الطبقة العاملة من جور أصحاب العمل، وإلى الأخذ بقانون جديد للعمال يعبر عن أمانيهم ويضمن النهوض بمستوى حياتهم الاقتصادية والاجتماعية، فتحقق منها ما تحقق في ما أُلغي من القوانين الزراعية القديمة التي لا تتمشى مع روح العصر وإحلال قوانين جديدة محلها، وكذلك في صدور قانون العمل الجديد لعام 1936.

الخيار الصعب

ومثلما استطاعت الحاصد النجاة من قبضة ديكتاتورية ياسين الهاشمي، نجت هذه المرة أيضاً من سيف التعطيل، بل ازداد وزنها السياسي في نظر الأوساط الشعبية التي كانت الحاصد لها بمثابة أحد منابر التعبير عن أمانيها في غدٍ أفضل. وبقيت الحاصد في الميدان تحدق بها الأخطار من كل صوب، وتتعرض لمشاكل ومصاعب سياسية ومالية جمة أبهظت كاهلها ولم يعد لها طاقة على تحملها في آخر الأمر، فانتهى بها المطاف في غاية آذار/مارس 1938 إلى الاختيار بين أمرين: إما أن تحتجب من تلقاء نفسها أو تتعرض لتعطيلها وإلغاء امتيازها. وفي كلا الأمرين صون لكرامتها، وحفاظ على سمعتها ومكانتها، فرجحت لنفسها المخرج الأول، فاختفت من الميدان مأسوفاً عليها أشد الأسف من لدن كُتابها وجماهير قرائها وسائر المفكرين الذين حظيت لديهم بكل احترام وتقدير. ولو أنها سمحت لنفسها بالانحراف قيد أنملة عن خطتها الوطنية الأصيلة لاستطاعت مواصلة الصدور – كما فعلت صحف ومجلات أخرى معاصرة لها – من دون أن تتعرض لمشكلة أو تلقي صعوبة، بل كانت ستنال من الطبقة الحاكمة كل تلطيف وجاه ونفوذ على نمط ما حدث لغيرها. ولكن حاشى صاحب الحاصد أن يكون قد هدف أو فكر أن يهدف منذ حداثة عهده بالخدمة العامة لغاية هذا التاريخ إلى نفوذ زائل أو جاه زائف أو إلى غير ذلك من المآرب الخاصة والمنافع الذاتية على حساب رسالة الأدب ومصلحة الشعب. بل كان ولا يزال يعتبر الكرامة هي الكل في الكل في حياة أي إنسان

يريد أن يكون رصيده الوحيد في الحياة راحة ضميره، وعفة نفسه، وحسن سمعته، وحب الناس له وثقتهم به. وهكذا ودعت الحاصد قراءها إلى الأبد بعدد خاص ختمت به سنتها الأخيرة، أي حياتها، وكانت قد درجت في بداية كل سنة من حياتها على إصدار عدد ممتاز لها. وكان لسان حالها في المرة الأخيرة يردد مع الشاعر الفرنسي الوجداني لامارتين قوله الوداعي الخالد:

قد كنت أرجو ختام العام يجمعنا

واليوم للدهر لا يُرجى تلاقينا

وقد كان من بين التعليقات التي نشرت لمناسبة احتجاب الحاصد تعليق لصحيفة محلية نجتزئ منه ما يلي:

"وأخيراً احتجب الحاصد الأغر وانسحب صاحبه من ميدان الصحافة، ناصع الجبين، موفور الكرامة، كما ينسحب الجندي من ميدان الحرب بعد أن يرمي آخر نبلة من كنانته في سبيل الواجب".

والآن ...

لنعد إلى تقليب صفحات الحاصد اعتباراً من سنتها الثانية لغاية سنتها الأخيرة، لنرى أمامنا حديقة غناء، فواحة بعبير الأدب الرفيع بمختلف فنونه من شعر وقصة وتراجم وأحاديث ودراسات أدبية وريبورتاجات ومداعبات وحتى الفكاهات والطرائف التي كانت عادةً تُنشر في الصفحة الأخيرة من كل عدد. وإذا كانت مجلة "الرسالة" للأديب المصري الكبير المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات قد ظهرت في مصر خلال النصف الأخير من حياة الحاصد، حاملة لواء الأدب الرفيع، فقد كان العراق سبّاقاً لمصر بأن ظهرت فيه مجلة الحاصد التي سبقت (الرسالة) في هذا المضمار. ولطالما سمع كاتب هذا البحث من عدد غير قليل من قراء (الحاصد) و (الرسالة) معاً قولهم إنهم إذ ينعمون بمطالعة الرسالة ينعمون أكثر بمطالعة الحاصد لأن نعيمهم هذا مصحوب بشعور من الزهو والفخر بكونها عراقية، ولكون العراق هو الآخر يملك كنـزاً أدبياً يضاهي الرسالة أدباً رفيعاً وأصالة فنية بل كان الملاحظ في عدد من أولئك القراء كونهم أشد شوقاً إلى انتظار طلوع الحاصد مع طلوع صبيحة كل خميس، منهم إلى انتظار وصول الرسالة إلى العراق!

ومن هذه النظرة العاجلة إلى حديقة (الحاصد) الغنّاء، ننتقل بالقارئ الكريم إلى بحث بعض أبواب المجلة، ولنبدأ بالشعر. فماذا نرى وماذا نقرأ؟ أولاً، قصائد رائعة لصاحب الحاصد نفسه، وهو في الأصل الشاعر الموهوب الذي أتحف الشعر العربي بروائعه المعبرة بكل صدق وأمانة عن نبل أحاسيسه ومشاعره المتجاوبة مع أحاسيس ومشاعر كل إنسان يتطلع إلى الحرية، عربياً كان أو غير عربي، بالإضافة إلى روائع تراجمه الشعرية عن فطاحل شعراء العالم الخالدين وفي مقدمتهم طاغور، وفكتور هوغو، والفريد دي موسيه، ولامارتين وغيرهم (وحديثاً قرأنا له ترجمة شعرية

لأحد مزامير الملك داود وأخرى لإحدى روائع بيالك) ولحسن حظ الأدب العربي أن تكون أكثر هذه الروائع قد ضمها ديوان الأستاذ أنور شاؤل (همسات الزمن) الذي صدر في بغداد في أواسط الخمسينيات، وأكثر القصائد تتغنى بالحق والعدالة والحرية. ومما يعبر عن تعشقه للحرية، هذه المقطوعة التي نظمها في عام 1953 بعنوان (خذوا ....):

خـذوا ما اشغل الفكرا	ومـا أمـلتـه دهـرا
خـذوا صفوة أحلامي	ومطمح نفسي البكـرا
خـذوا اللؤلؤ منثـورا	يحاكي الأنجـم الزهـرا
خـذوا الإبريز وهاجـا	بنـور الشمس قد آزرى
خـذوا من نحلي الشهد	ومن كؤوسي الخمـرا
خـذوا أثـمار بستاني	خذوا الأزهار والـبذرا
خـذوا ما ملكت كفي	وخلونـي أعش حـرا

ولو أن الحاصد كانت مجلة الشعر وحده لكفاها ذلك فخراً واعتزازاً، فكيف بها وقد كانت بالإضافة إلى ذلك مجلة جميع فنون الأدب الأخرى على الوجه الذي أسلفناه آنفـاً؟ وإذا اعتبرنا الحاصد مجلة للشعر فقط فيمكننا القول إنها لا تزال إلى اليوم تواصل الصدور بصورة متقطعة، استناداً إلى الحقيقة الواقعة، وهي أن صاحب الحاصد – أمـد الله في عمره ومتعه بكامـل الصحـة والهناء ومتعنا بالاستماع إلى قصائد جديدة له – لا يزال ينظم وينظم، مستلهماً ذلك من لواعج قلبه الكبير، وروحه السامية، ومن الأحداث التي تهز القلب والروح معاً.

الحاصد والقصة العراقية الحديثة

أما القصة في الحاصد فإنها تؤلف بدورها "قصة" حقيقية كاملة كبيرة بحد ذاتها، وتتطلب منا أن نفرد لها بحثاً خاصاً قائماً بذاته لشرح المراحل التي مرت بها والجهود الجبارة التي بذلت في سبيلها، أي في سبيل رفع مستوى القصة العراقية، كفنّ أدبي قائم بذاته، إلى مستويات القصة العالمية الحديثة.

ولنبدأ الحديث عن نهج الأستاذ أنور شاؤل في هذا المضمار، بوصفه أحد رواد القصة العراقية الذين ناضلوا بكل طاقتهم في سبيل بناء أُسس وطيدة ومقومات ثابتة لها وفقاً لأحدث المعايير الفنية والأدبية التي من شأنها أن تشعر القارئ العراقي حقاً أنه أمام قصة عراقية بكل معنى الكلمة، وليس – كما كان الأمر قبل صدور الحاصد – أمام اسم على غير مسمى. وهنا يقتضينا البحث أن نلاحظ أن جل ما كان ينشر مما يسمى بالقصص العراقية في غير الحاصد من الصحف والمجلات العراقية، يمكن أن يعتبر أي شيء آخر أو يسمى بأي اسمٍ كان، فيما عدا وصفه أو تسميته بالقصة العراقية، لأنه كان أبعد ما يكون عن القصة مبنىً ومعنىً ومغزىً وواقعاً وفناً! فجاء صاحب الحاصد ليجعل من مجلته منبراً للقصة العراقية الحديثة التي تتوفر فيها جميع متطلبات القصة الحديثة من حيث كونها صورة صادقة لواقع عراقي أولاً، وفناً أدبياً رفيعاً ثانياً. وكانت كل قصة ينشرها الأستاذ أنور شاؤل في مجلته تفتح أمام كُتاب القصة الناشئين في العراق آفاقاً جديدة يجدون فيها كل ما يلزم للقصة العراقية الحديثة من مستلزمات وشروط فنية للوقوف على قدميها، ومضاهاة القصص العالمية الحديثة من حيث الروعة والإبداع.

وقد استطاع الأستاذ أنور شاؤل بفضل موهبته الأدبية واطلاعه على روائع الأدب العالمي وتضلعه باللغتين الانكليزية والفرنسية، استطاع بفضل ذلك كله أن يكتشف ويضع للقصة العراقية الحديثة الخطوط الأولى لقواعد ومقاييس كانت من الأسس لهذا الفن الأدبي الرفيع، فكان بذلك على حد قول الأديب الكبير المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات في مجلته (الرسالة): ثاني اثنين مهداً لكتابة القصة الحديثة في العراق (ويريد بالأول القاص المرحوم الأستاذ محمود أحمد السيد). فالقصة الحديثة ليست صورة لمجموعة من الحوادث أو سرداً لحادثة معينة، بحجة كونها قصة

واقعية، ولا هي بموعظة أو إرشاد بحجة كونها قصة ذات مغزى، وإنما هي قطعة فنية متزنة اتزاناً دقيقاً تصاغ في قالب من الواقع الذي يعيشه أبطالها وأشخاصها، مضافاً إلى ذلك مجموعة مشاعر إنسانية ونوازع متضاربة، وقد تكون أحياناً صورة للصراع بين الخير والشر، وأحياناً أخرى صورة لفكرة إنسانية سامية أو لحدث عابر في حياة أي إنسان. ولكنه قد يكون له الأثر الحاسم في تقرير مستقبله أو مصيره. وقد تتناول القصة أي شأن آخر من شؤون الحياة، مما يمكن أن يقع لهذا أو ذاك من الناس، ولكن الأهم من ذلك كله ما يتركز في نقطتين أساسيتين: الأولى أن مضمون القصة يجب أن يكون من الأمور التي تهم حياة الناس وتتعلق بمشاعرهم المشتركة، والنقطة الثانية أن صياغة ذلك المضمون يجب أن تكون على درجة عالية من الفن والطرافة الفنية – إذا صح التعبير– بحيث تشد إليها القارئ شداً من بدايتها إلى نهايتها، وتفاجئه بنتيجة غير منتظرة، بحيث تبقى القصة بأحداثها وبالطريقة التي صيغت بها راسخة في ذهن القارئ وذاكرته مدة طويلة جداً. وهذا هو الأساس الذي أستند إليه الأستاذ أنور شاؤل في معظم ما كتبه من قصص، مما أصبح موضوعاً دائماً لدراسة تطور الفن القصصي العراقي الحديث. إن قصص صاحب الحاصد لم تكن موضع إعجاب وتقدير فحسب بل مبعث وحي وإلهام أيضاً لمن ظهر من كتاب القصة في العراق خلال الأجيال التي تلت جيله بوجهٍ عام.

ولم تقف جهود صاحب الحاصد عند هذا الحد، ففي الوقت الذي كان فيه يواصل تأليف ونشر القصة تلو الأخرى في مجلته (وأكثر تلك القصص تحتويها مجموعته القصصية "في زحام المدينة") كان لا يدخر وسعاً في تشجيع كُتاب القصة الناشئين وإرشادهم إلى الطريقة المثلى لكتابة القصة، وبذل الجهود الممكنة في سبيل العناية بأصحاب المواهب الأدبية والفنية، حتى يمكن القول إن الحاصد كانت أول مجلة عراقية تدفع أجوراً نقدية لمن يكتب قصة جيدة تقوم بنشرها له، كما كانت تعقد مباريات ذات جوائز مالية للفائزين. وقد كانت نتائج تلك الجهود ثماراً يانعة أغنت أدب القصة العراقية ونهضت به إلى مستوى فني مرموق. وبذلك أسدت الحاصد خدمة للأدب بوجهٍ عام لم تسبقها إليها مثلها أية مجلة أو صحيفة أخرى.

وإنه ليؤلمني الآن ويؤلم سائر كتاب الحاصد وقراءها القدامى أن صاحبها قد اضطر أن يترك وراءه في العراق المجموعات الكاملة لمجلته ولم يستطع جلبها حتى اليوم. ولا يستطيع أحد أن يجزم

بمصير هذا الكنـز الأدبي الثمين. وإني لسعيد أن الذاكرة لا تبخل علي بما أريد أن أتذكره وأستعرضه عن أعز وأجمل فترة في تاريخ الصحافة العراقية وهي عهد صدور الحاصد ولسان حالي يردد في هذا الشأن بيتاً للأستاذ أنور شاؤل ينطبق كل الانطباق على موقفي هذا تجاه الحاصد، وهو:

واكبت أيامي وكنت مدارها

فإليك منك تلهفي وتوجدي

ومن هذه الحقيقة الناصعة، حقيقة اتصالي فكراً وروحاً من أول عدد لها حتى آخر عدد من حياتها الحافلة، تستوحي الذاكرة ذكريات وذكريات لتسجيلها في هذا البحث كحقائق تاريخية جديرة بالتسجيل.

ثلاثة أعلام في الشعر والقصة والمقالة

مراد ميخائيل ... جبران العراق

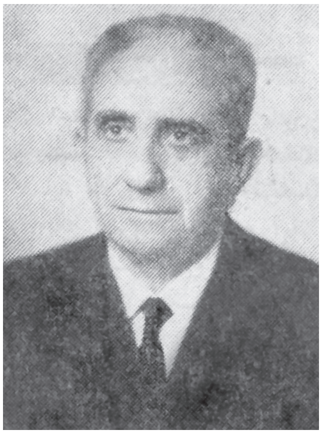

الدكتور مراد ميخائيل

وحتى لو جاز لنا اعتبار مجلة الحاصد مجلة لرعاية الشعر في المقام الأول – وهذا غير صحيح بالمرة – فلا يجوز لنا إطلاقاً اعتبارها مجلة لشعر أنور شاؤل وحده ... فهناك شعراء كثيرون واظبوا على موافاة الحاصد بقصائدهم، وكان أكثرهم مواظبةً وفي المقدمة منهم الشاعر الرقيق الأستاذ مراد ميخائيل (الآن الدكتور مراد أحد أساتذة الأدب العربي في جامعة تل أبيب). ولد الأستاذ مراد ميخائيل في بغداد عام 1909، وبعد أن أكمل تحصيله الثانوي عُين في عام 1928 مدرساً في مدرسة شماش الإعدادية الأهلية، إحدى مدارس الطائفة اليهودية في العراق وقد عُرِفت بمستواها العلمي العالي واشتهار طلابها بالجد والمواظبة آنذاك. وقد دخل كلية الحقوق بعد ذلك فتخرج منها محامياً عام 1937، وعُين مديراً لمدرسة شماش المذكورة، وظل في وظيفته تلك حتى هجرته من العراق عام 1947.

نظم الأستاذ مراد ميخائيل الشعر منذ صباه ومطلع شبابه، فتكونت لديه مجموعة من مقطوعات الشعر المنثور أو الشعر الحر تفيض رقةً ووجداً، بالإضافة إلى قصائده الموزونة الرائعة الأخرى. وقلما كان أي عدد من مجلة الحاصد يخلو من قصيدة له، إلا خلال السنتين الأخيرتين من حياة المجلة لانهماكه في دراسة الحقوق وفي عمله الإداري الجديد، وكان الشباب العراقي المتلهف إلى الشعر الوجداني الحي يتلقف قصائده تلك بكل لهفة وشوق لأنه كان يجد فيها تعبيراً دقيقاً عن عواطفه الجياشة.

ومع أن مراد ميخائيل لم يعش تلك الفترة في المهجر (أمريكا) فإنه يضاهي شعراء المهجر، إذ كانت قصائده بعذوبتها الموسيقية ألواناً رائعة لأنغام صادرة من أعماق القلب والروح، تحاكي بجمالها ورقتها قصائد لامارتين والفريد دي موسيه. وقد أضفت عليها تجارب الحياة على مر الأيام طابعاً فلسفياً، عقلانياً حيناً وصوفياً حيناً آخر، ارتفع بها إلى مصاف قصائد هنريخ هاين وطاغور في هذا المضمار، فكانت بحق مزيجاً من العاطفة والحكمة تميزت به في حينه، مما جعلها محط الإعجاب والتقدير لدى قراء الحاصد بوجهٍ خاص وهواة الشعر والأدب بوجهٍ عام. وقد أثنى على شعر مراد ميخائيل الشاعر الكبير المرحوم معروف الرصافي برسالة خاصة، مع أن الرصافي لم يكن ليعترف بالشعر المنثور. وكان المقول عن مراد ميخائيل أن للبنان جبران خليل جبران وللعراق مراد ميخائيل!

ومن طريف ما أتخطره عن تلك الفترة الجميلة أن بعض الشبان من أصدقائي آنذاك كانوا يدعون إلى العزوف عن الزواج والاكتفاء بالحب العذري وحده، وقد استندوا في هذه الدعوة إلى ما قاله الأستاذ مراد ميخائيل في مطلع إحدى مقطوعاته الجميلة من أن "الحب مصباح سيطفئه الزواج"! ولا أدري إذا كان الدكتور مراد بقي مؤمناً بهذه الدعوة الفلسفية إلى الآن؟!

شالـوم درويـش

وأسلوبه "الفولتيري"

شالوم درويش

إلى جانب الأستاذ أنور شاؤل كان للحاصد كاتب قصصي آخر لا يقل عنه براعة وموهبة وذوقاً رفيعاً ونبوغاً، ونعني به الأستاذ شالوم درويش الذي تميزت قصصه بأسلوب يمكن أن نصفه بأسلوب "فولتيري" من حيث انطوائه على السخرية اللاذعة من أوضاع اجتماعية معينة كانت تتطلب معالجة جذرية أسهم فيها الأستاذ شالوم درويش ليس بقصصه فحسب بل بأبواب أخرى ثابتة له في الحاصد أيضاً، ونخص بالذكر منها باب (وسوسات إبليس). والظاهر أن هذا الأديب الألمعي لم يكتف باتخاذ القصة منبراً لأفكاره ومبادئه – رغم براعته الفائقة في هذا الميدان – بل اختط لقلمه مجالات أخرى واسعة ليصول ويجول فيها ما شاء له أن يفعل لما فيه مصلحة المجتمع العراقي وتحرره من مختلف القيود التعسفية والتقاليد البالية. وله مجموعة قصصية باسم (أحـرار وعبيـد) تضم عدداً كبيراً من القصص التي نشرتها له الحاصد.

الأستاذ شالوم درويش من مواليد سنة 1912. تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الوطنية أولاً ثم في مدرسة (راحيل شحمون) التي كانت تُعرف أيضاً باسم مدرسة (التعاون) وهي إحدى مدارس الطائفة اليهودية في العراق. وكان يديرها المرحوم الطيب الذكر المربي الكبير الأستاذ شمعون معلم نسيم (1873-1953) الذي أنشأ أجيالاً وأجيالاً من الأدباء والأطباء والمهندسين والمحامين والصحفيين اليهود في العراق نشأة وطنية علمية راسخة. وكان بينهم الطالب شالوم درويش الذي ظهرت موهبته الأدبية منذ نعومة أظفاره، وكذلك كان شأن شقيقه الدكتور سلمان درويش الذي ألّف هو الآخر في صباه مسرحية عراقية مثلت على مسرح مدرسة راحيل شحمون، وقد شجعته

إدارة المدرسة في حينه بنشرها له في كراس خاص. وقد واصل الدكتور سلمان درويش بعد ذلك لردحٍ من الزمن كتابة قطع من الشعر المنثور تتناول شؤوناً أدبية واجتماعية نشرتها له مجلة الحاصد.

وبعد أن أكمل الأستاذ شالوم درويش تحصيله الثانوي اشتغل فترة من الزمن في رئاسة الطائفة الإسرائيلية في العراق (كما كانت تُسمى رسمياً آنذاك) إذ عُين سكرتيراً لها وقد اضطلع بمهام هذا المنصب الحساس بكل كفاءة وإخلاص. وخلال تلك الفترة بالذات دخل كلية الحقوق وتخرج فيها محامياً. وقد صمم على ممارسة المحاماة فاستقال من سكرتارية رئاسة الطائفة وحقق رغبته هذه في "مزاولة مهنة حرة"، بدافع تعشقه للحرية. وكان الأستاذ شالوم درويش طيلة هذه المدة يواصل إمداد الحاصد بثمار قلمه وفكره ويساعد صاحب الحاصد في بعض الأحيان في تصحيح وتنقيح كل قصة يبعث بها أي كاتب ناشئ ليمكن نشرها بعد ذلك التنقيح الذي كان أحياناً يتطلب من شالوم درويش بذل مجهود خاص توجيهاً لذلك الكاتب الناشئ إلى الطريقة المُثلى لكتابة القصة.

جوانب أخرى مشرقة لشالوم درويش:

ظل الأستاذ شالوم يساهم في تحرير الحاصد مساهمة فعالة إلى آخر عدد من أعدادها، من دون أن يشغله عن ذلك انصرافه إلى بناء مستقبل له في ميدان المحاماة. وكان الأستاذ شالوم درويش في الوقت ذاته يعد العدة لدخول ميدان النضال السياسي والحزبي. ولم يستطع تحقيق فكرته تلك إلا في عام 1947 يوم انتمى إلى الحزب الوطني الديمقراطي وأمد جريدة الحزب ببعض المقالات السياسية الوطنية الجريئة. وقد رشحه الحزب ليمثله ويمثل الطائفة اليهودية معاً في مجلس النواب. وكان لترشيح الأستاذ شالوم درويش للنيابة صدى ارتياح عام وترحيب كبير في مختلف الأوساط الشعبية والتقدمية في العراق في حينه، مما دل على ما له من مكانة سياسية مرموقة. وقد حاز على عدد كبير من الأصوات ضمنت له الفوز بالنيابة رغم العقبات التي وضعتها في طريقه الطبقة الحاكمة في العراق بوصفه يهودياً وطنياً أولاً وحزبياً ديمقراطياً تقدمياً ثانياً.

وبذلك استطاعت الطبقة الحاكمة إحباط انتخابه نتيجة إجراءاتها التعسفية. فكان ذلك مثار أسف شديد. وقد تعرض الأستاذ شالوم درويش بعد ذلك لملاحقات من قبل المجلس العرفي العسكري الذي تألف أثر إعلان الأحكام العرفية في تلك الفترة، وكادت تلك الملاحقات أن تنتهي إلى الزج به في غياهب السجون والمعتقلات وتهدد حياته ذاتها، لولا العناية الإلهية التي مكنته من النجاة من ذلك الخطر الجسيم في آخر الأمر، بمبادرته اضطراراً إلى الجلاء عن بلد اعتبره وطناً عزيزاً له ولكنه صار له في واقع الحال جحيماً لا يُطاق. وكان ذلك في عام 1951.

وبهذا السجل من الوطنية والإخلاص ضرب شالوم درويش للشباب اليهودي العراقي آنذاك مثالاً للتحرر واعتناق المُثل العليا والتضحية في سبيل الوطن والنضال من أجل ترسيخ دعائم الأخوة العربية – اليهودية في العراق.

عزرا حداد - في طليعة كتاب البحوث

هذا فيما يتعلق بالقصة في الحاصد، أما فيما يخص التراجم والبحوث الاجتماعية والسياسية والدراسات الأدبية، فحدث عنها ولا حرج. من حيث وفرتها وتنوعها وعدم خلو أي عدد من أعداد الحاصد منها.

عزرا حداد

وكان المرحوم الأديب الألمعي والبحاثة الفذ الأستاذ عزرا حداد – مترجم ومحقق كتاب (رحلة بنيامين) الشهير الصادر في العراق خلال النصف الثاني من الأربعينيات، ومؤلف الكتب المدرسية باللغة العبرية لطلاب المدارس الابتدائية اليهودية في بغداد – في طليعة كتاب هذه البحوث في مجلة الحاصد، فقد ساهم في هذه الميادين مساهمة مستمرة وواسعة النطاق. كما قام بترجمة كتب وأبحاث ودراسات عديدة نشرتها له الحاصد بالتسلسل، ونخص بالذكر منها كتاباً خاصاً عن الحرب العالمية الثانية – قبل وقوعها – بعنوان (الحرب عام 1938) وآخر بعنوان (الحرب في أربعة أيام) وكلها مجموعة تنبؤات قصصية طريفة جداً عن الحرب المتوقعة وأهوالها، وكانت تشد إليها القارئ شداً وتزيده اهتماماً ورغبة في متابعتها. وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية بعد ذلك بثلاث سنين، كنا نستعرض كيفية وأسباب وقوعها ووقائعها اليومية في ضوء استذكار ما كنا نقرأه من تلك الفصول التي تولى المرحوم الأستاذ عزرا حداد ترجمتها بأسلوبه الشيق المعهود، وذلك بالإضافة إلى ترجمته الرواية المتسلسلة (الرجل الذي أضاع نفسه) – وكان قد وضع عقدتها روزفلت – وكتاب (صرعى الغرام في قصور الملوك والأمراء).

ومن بحوثه الاجتماعية والسياسية ودراساته الأدبية ومقالاته بصورة عامة في الحاصد، مواضيع جريئة تتناول الكفاح ضد الفاشية والنازية، وتعليقات على الأحداث السياسية اليومية، ودراسات أدبية وتربوية واجتماعية عديدة، مما يضيق نطاق هذا البحث عن سرده بالتفصيل.

وقد ظل المرحوم الأستاذ عزرا حداد يساهم في تحرير الحاصد إلى آخر عدد من أعدادها. وكان صريحاً غاية الصراحة في كل ما تطرق إليه من هذه المواضيع. وكانت كتاباته تتسم بطابع موضوعي وبروح تحررية في ذات الوقت. وكنا ننعته آنذاك بـ "الأب الروحي". وقد كنا على حق في مثل هذه التسمية ليس لكونه أكبر سناً من صاحب الحاصد وسائر كتاب الحاصد فحسب، بل بالنظر إلى حنكته وطول باعه وتجاربه الكثيرة في الحياة، والأهم من ذلك ثقافته الواسعة والواجب الوطني المقدس الذي كان يضطلع به في الحياة العامة. فقد كان يجيد العبرية والانكليزية ويلم بالتركية والفرنسية، بالإضافة إلى العربية، لغة المولد. وكان يكتب ويقرأ ويترجم من كل هذه اللغات بكل طلاقة وإتقان، كما إنه كان، رحمه الله، واسع الاطلاع على الأحداث المحلية والخارجية، التاريخية منها والمعاصرة. وكان معاوناً لمدير مدرسة شماش الإعدادية عام 1928 ومديراً للمدرسة الوطنية، إحدى مدارس الطائفة اليهودية في العراق، تلك المدرسة التي لعبت مع مدرستي الأليانس والتعاون ومدرسة شماش فيما بعد أهم الأدوار الثقافية والتعليمية والتربوية في حياة البلاد وأبنائها بوجهٍ عام وأبناء الطائفة اليهودية بوجهٍ خاص، فكان مثلاً حياً للمربي الفاضل الذي حمل مشعل العلم والثقافة عالياً في العراق منذ مطلع شبابه إلى آخر سنة من وجوده هناك، حيث ظل حتى الأخير دائب النشاط والحركة يفيض حيويةً وحماسةً وعزماً، فكان من الشخصيات النادرة المرموقة لدى مختلف الأوساط العلمية والأدبية والوطنية.

ولد عزرا حداد في بغداد عام 1900 وتلقى دراسته الأولية في مدرسة (مدراش تلمود تورا) وفي مدرسة (إعدادي ملكي) العثمانية في بغداد وبعد ذلك في مدرسة التعاون. وقد دخل دورة دار المعلمين عند تأسيسها إثر الاحتلال البريطاني للعراق. وعُين للمرة الأولى مدرساً في مدرسة (مدراش تلمود تورا) وذلك في عام 1922 ثم صار مديراً للمدرسة الوطنية، ومعاون مدير لمدرسة شماش الإعدادية، كما ذكر آنفاً.

ومن نشأة الأستاذ عزرا حداد يتضح جلياً إنه عاصر الحرب العالمية الأولى بقساوتها وأهوالها والكوارث التي خلفتها للشعب العراقي تحت وطأة الحكم العثماني، وقد تتبع منذ مطلع شبابه الحركات التحررية وعايش العهود المختلفة التي مر بها العراق قبل أن ينال استقلاله. ومن كل ذلك أستمد تجارب كثيرة أضافها إلى دراساته الثقافية المتنوعة التي أعانته فيما بعد ليكون في

الصف الأول من المثقفين النوادر في العراق، وليجعل من المدرسة الوطنية التي كان يديرها نموذجاً للمدارس العراقية بفضل رعايته الأبوية لتلاميذها واهتمامه البالغ بتنشئتهم نشأة وطنية صالحة. وقد كانت المدرسة الوطنية كأختها (التعاون) مضرب المثل في أوساط المعارف في حينه من حيث نسبة النجاح العالية فيها.

وبفضل تجاربه الواسعة في مضمار التعليم، وبفضل انكبابه على دراسة وتتبع أهم الصحف والمجلات العالمية وكل ما يصدر في مختلف أقطار العالم من كتب ثمينة، كانت مقالاته في الحاصد ذات وزن كبير، وكان هو موضع تقدير واحترام رجالات الأدب والتربية والتاريخ وغيرهم في العراق من مختلف الطوائف. ومثال لذلك ما كتبه المرحوم العلامة الأستاذ محمد رضا الشبيبي إشادةً وإعجاباً بإقدام عزرا حداد على ترجمة وتحقيق كتاب (رحلة بنيامين) الذي دل على فكر عميق وثقافة واسعة وتتبع دقيق.

نزح الأستاذ عزرا حداد من العراق مع من نزح من أبناء الطائفة اليهودية عام 1951. وفي إسرائيل أشغل مركزاً يليق بمكانته وثقافته هو عضوية اللجنة المركزية للهستدروت. توفي في 14 أيار/مايو 1972 مأسوفاً عليه من قبل جميع عارفي أدبه وفضله.

أسماء أخرى لمعت في الحاصد

يوسف مكمل

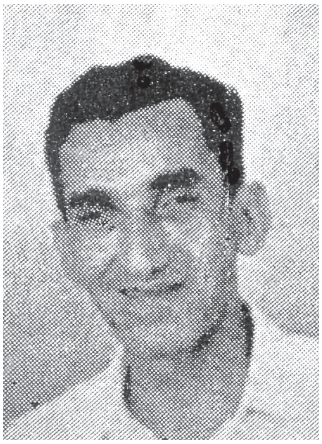
يوسف مكمل

ولنعد الآن إلى كتاب القصة الآخرين في مجلة الحاصد لنرى في مقدمتهم الكاتب الأديب الألمعي يوسف مكمل الذي نشأ أديباً موهوباً في مدرسة الحاصد نفسها إذ بدأ يبعث إلى الحاصد بنفثات قلمه وهو لما يزل طالباً في الصف المنتهي من مدرسة الأليانس. وكان في بداية الأمر يترجم قصائد لكبار الشعراء الفرنسيين وخاصة منهم فكتور هوغو ولامارتين والفريد دي موسيه وأندري شينيه، ترجمة أدبية دقيقة بارعة نهج فيها نهج المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات، كما كان يفعل عدد آخر من إخوانه الطلاب في مدرسة الأليانس أيضاً. وبمرور الزمن وبتشجيع من الحاصد نمت موهبة يوسف مكمل الأدبية نمواً سريعاً فأصبح يمارس كتابة القصة حتى أصبح في مصاف كتاب القصة البارعين في العراق، بالإضافة إلى بحوثه ومقالاته ومقطوعاته الأدبية الأخرى.

وفي أواسط عام 1935 عين يوسف مكمل سكرتير تحرير ومدير إدارة لمجلة الحاصد، فكان لصاحب الحاصد خير عون في تحرير المجلة وتبويبها وإخراجها بذلك الثوب القشيب الذي كانت تظهر به. ومن مساهماته البارزة في الحاصد قيامه بترجمة مسلسلة (الفرسان الثلاثة) المصورة وهي أول قصة عالمية مصورة تنشر في مجلة عراقية على هذا النحو، وكانت تلخيصاً كاملاً مركزاً لرواية اسكندر دوماس الكبير. وكان يوسف مكمل يتولى أيضاً ترجمة أحداث أنباء العالم المصورة التي كانت ترد مع كليشياتها خصيصاً إلى الحاصد من شركة عالمية مشهورة في الدنمارك، لقاء اشتراك سنوي، وكان ذلك الباب المهم هو الأول من نوعه في العراق. وكانت الحاصد هي السباقة فيه قبل أية مجلة أو صحيفة أخرى، شأنها دائماً في كل خطوة لتطوير الصحافة والنهوض بالفن الصحفي في العراق.

ومن دواعي اعتزازي الشخصي – وقد كانت تجمعني بيوسف مكمل صداقة روحية وطيدة – أن أكون أنا الذي رشحته لإشغال تلك الوظيفة في الحاصد، عندما أخذ رأيي صاحب الحاصد في من يمكن أن يعين سكرتير تحرير ومدير إدارة للمجلة، وعما إذا كان بإمكاني أنا أن اشغلها. وقد اعتذرت عن ذلك لاشتغالي آنذاك محرراً في جريدة (الطريق) ثم جريدة (الزمان) لصاحبها الصحفي الكبير الأستاذ توفيق السمعاني الذي بقيت أعمل معه مدى ثلاثين عاماً متواصلة (لغاية 8 شباط/فبراير 1963) حينما أُلغي امتياز (الزمان) بنتيجة حركة 14 رمضان (8 شباط/فبراير 1963) المسلحة التي أطاحت بالزعيم عبد الكريم قاسم، رحمه الله، تلك الحركة التي كانت بداية النهاية بالنسبة إلى الطائفة اليهودية في العراق.

ومما هو جدير بالذكر هنا ان (الزمان) فتحت صدرها لصاحب الحاصد بعد احتجاب مجلته فنشر فيها ما شاء له أن ينشر من قصائد وقصص وأبحاث أدبية، معتبراً تلك الجريدة بمثابة (حاصد) ثانية له، كما كانت الصحف الأخرى أيضاً ترحب كل الترحيب بنشر ما يريد الأستاذ أنور نشره فيها بين الحين والحين.

وتاريخ يوسف مكمل في الحاصد هو بالذات تاريخي أنا، لأننا كنا في الواقع نسير جنباً إلى جنب، ونعمل معاً يداً بيد، ونتشاور بصورة دائمة في جميع شؤون عملنا الأدبي سواء ما يتعلق بالقصص الموضوعة والمترجمة والدراسات الأدبية أو مقطوعات الشعر المنثور والرسائل واليوميات أو التراجم الشعرية التي كانت الحاصد تنشرها له ولي إلى آخر عدد من أعدادها.

وكان يوسف مكمل بعد تخرجه من مدرسة الأليانس قد اشتغل كاتب مراسلات تجارية وحسابات في بعض الشركات الأهلية، وبحلول الأزمة الاقتصادية العالمية وآثارها السيئة في الحقل التجاري العراقي بادر إلى امتهان الصحافة فعين محرراً ومترجماً في جريدة (المبدأ) لصاحبها المرحوم الزعيم الوطني جعفر أبو التمن. وبعد تعطيل الجريدة المذكورة، تم تعيينه في الحاصد على النحو الذي أشرت إليه آنفاً. وقد واظب على عمله هذا حتى احتجاب الحاصد في عام 1938. ثم عمل في إحدى الشركات الصناعية إلى أن نزح عن العراق في عام 1951، علماً بأنه طيلة تلك السنوات ظل يكتب ويكتب في مجالات الأدب والسياسة والاجتماع لعدد من الصحف، وخاصة منها جريدتَي الزمان والأهالي.

مئير حداد

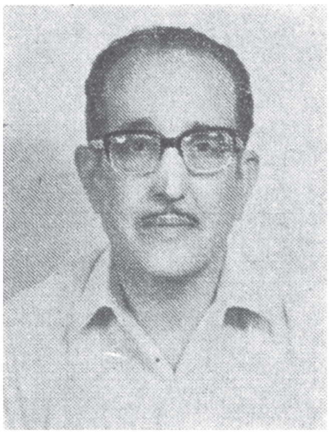

مئير حداد

كان الأستاذ الأديب مئير حداد (شقيق المرحوم عزرا حداد) وأحد المحررين حالياً (يوليو 1976) في جريدة "الأنباء" التي تصدر في القدس، من المساهمين في تحرير الحاصد ولو بنطاق محدود، وذلك لانصرافه إلى مهنة التعليم التي زاولها، وإلى الكتابة لصحف عراقية أخرى في مختلف المواضيع الأدبية، ونخص بالذكر منها جريدة (الأهالي). وخلال عهد انقلاب بكر صدقي في عام 1936 عُين محرراً للأخبار الخارجية والسياسة الدولية في جريدة (الحارس) للمرحوم الأستاذ مكي الجميل. وقد احتجبت تلك الجريدة بعد الإطاحة بعهد الانقلاب في الشطر الثاني من عام 1937.

وكانت أغلب مقالات الأستاذ مئير حداد في الحاصد دراسات قيمة في الأدب الانكليزي. وقد تميزت دراساته الأدبية بالعمق والتتبع الدقيق والبحث المتواصل، فكان يعتبر في نظر كثير من القراء حينذاك متخصصاً في هذا الميدان من الأدب. غير أن مواهبه الأدبية لم تقتصر على هذا التخصص، فقد أظهر براعة صحفية فيما كتبه لجريدة (الحارس) من مقالات وتعليقات وفيما حرره أو ترجمه من البحوث السياسية وغيرها. وكانت الفترة التي اشتغل خلالها محرراً في (الحارس) فترة دقيقة وحرجة فرضت عليه واجبات مضاعفة باعتباره صحفياً وأديباً في آنٍ واحد، وفي مقدمة تلك الواجبات مكافحة الدعايات النازية والفاشية وأخطارها الجسيمة التي أخذت آنذاك تخيم في جو العراق. وقد قام بواجبه في هذه الناحية، كصحفي أمين للديمقراطية ومفاهيمها الأساسية، خير قيام، وفي حدود الوسائل والإمكانيات التي تيسرت له.

ترك حداد مهنة التعليم عند قدومه إلى إسرائيل ومارس العمل الصحفي، واضعاً نصب عينيه في كل ما يكتب هدفاً سامياً هو تقريب وجهات النظر بين اليهود والعرب، والدعوة إلى ترك الضغائن والأحقاد. ولا يزال الأستاذ حداد على دربه هذا يسير.

صدقي محلب

كان معنا في الحاصد كاتب أديب آخر من خريجي مدرسة الأليانس، هو صدقي محلب الذي تخرج في أوائل الثلاثينيات سويةً مع يوسف مكمل وكاتب هذا البحث. وقد بدأ صدقي محلب _ وهو في الصف المنتهي من المدرسة المذكورة – يكتب للحاصد، مثلما كان شأننا أيضاً. فقد كتب عدداً من المقطوعات والرسائل الأدبية، ولمعت على صفحات الحاصد ترجماته الأدبية الدقيقة الرائعة للعديد من قصائد الشعراء الفرنسيين الخالدين، بالإضافة إلى دراساته وأبحاثه الأدبية. وقد ظل يساهم في الكتابة إلى الحاصد طيلة مدة صدورها. وبعد احتجاب الحاصد انقطع عن الكتابة للصحف نهائياً، ولم يشأ أن يمارس الصحافة أو يتخذها مهنة له وإن كان كفوءاً لها، فقد رجح أن يزاول أعمالاً حسابية وكتابية أخرى. وكان في فترة معينة يقوم بترجمة الأفلام من الانكليزية إلى العربية في إحدى دور السينما في بغداد. وقد نزح عن العراق مع الكثرة الكاثرة من أبناء الطائفة اليهودية في عام 1951.

استر إبراهيم

سيدة تساهم في مجهود الحاصد

السيدة أستر ابراهيم

قبل أن نختم بحثنا الخاص بالقصة وكُتّابها في الحاصد، ينبغي أن نتطرق إلى السيدة الفاضلة، الكاتبة الأديبة الرائدة ستيرينه (استر) كريمة نائب بغداد المرحوم الأستاذ إبراهيم حييم معلم نسيم، وقرينة صاحب الحاصد. كانت في مطلع شبابها أول فتاة تكتب في الحاصد، فقد ساهمت في تحرير المجلة قبل زواجها وبعد الزواج، وذلك بعدد من القصص والأبحاث الأدبية والاجتماعية، فأعطت بذلك مثالاً حياً للمرأة العراقية المتحررة. وكانت بعد تخرجها في دار المعلمات قد مارست التعليم فكانت من خيرة المربيات وساهمت مساهمة فعلية في الحياة الاجتماعية العامة وفي الحركة النسائية.

وقد نوه الأستاذ عبد الإله أحمد في كتابه عن تاريخ القصة القصيرة في العراق بأن "ستيرينه إبراهيم" كانت من بين السيدات الرائدات في كتابة القصة في العراق، ولخص لها عن الحاصد قصة بعنوان "لم يكن متسلحاً ليكافح".

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن الشاعر المهجري الكبير المرحوم إيليا أبا ماضي نشر لها عن الحاصد في مجلته "السمير" النيويوركية قصة لها بعنوان (أم) ...

ويمكن القول إنها كانت لصاحب الحاصد الشريكة المُثلى والزوجة الحنون. أهداها لمناسبة مرور ثلاث وعشرين سنة على زواجهما الميمون مقطوعة شعرية قال عنها أحد كبار النقاد في مقال نُشر في جريدة (الحوادث) في حينه عام 1956: "كانت أروع ما قالت الشعراء في مثل هذه المناسبة، فلم يتسنَ للمرأة ما تسنى لزوجة الشاعر أن تصغي إلى هذا النشيد المروق يلقى في سمع الزمن تخليداً لحياة زوجية مقدسة ... إن هذه القطعة الخالدة هي السحر كله، ولكنه ليس ذلك السحر الذي تُثار به الفتنة بين الناس إنما هو ذلك الذي تربط به القلوب وتعمر به الحياة وتدرك به قيمة التعاون والوفاء"!

ولعل القارئ يطالبني بهذه المقطوعة بعد أن سمع عنها ما سمع، فإليه ما يريد:

ثلاث وعشرون مرت بنا
كومض البروق وغمض الجفون
وجدت بها البؤس حلو المذاق
لأنـكِ هونـتِ عبء السنين
ورضت بها الصعب سهل القياد
لأنـكِ كنـتِ الشريك المعين
ثلاث وعشرون رغم الشدائد،
رغم الخطوب ورغم الشجون
تقضت خفافا وهبت لطافا
هبوب النسائم فوق الغصون
تلامس أوراقها الواهنات
فتبعث فيها الرجـا والحنين!

أدباء آخرون ومراسلون

كان إلى جانب كُتّاب القصة والأدباء اليهود في الحاصد، كتاب آخرون من سائر المواطنين نخص بالذكر منهم الأساتذة محمود أحمد السيد (رائد القصة العراقية الحديثة الأول) ونديم الأطرقجي (الشاعر الرقيق الذي اختاره الموت في ميعة الصبا وريعان الشباب) وعبد الوهاب الأمين ولطفي بكر صدقي، ويوسف متي، وعبد المجيد لطفي، وجرجيس يوسف وغيرهم ممن كانوا يعتبرون "الحاصد" مجلتهم المحبوبة والمفضلة لديهم، إذ كانوا يرون فيها منبراً حراً لآرائهم ومعتقداتهم التقدمية والوطنية واتجاهاتهم الفكرية والأدبية الحرة. هذا بالإضافة إلى كبار شعراء وأدباء العرب الذين كانوا يبعثون إلى الحاصد بثمار أقلامهم وفي مقدمتهم الزهاوي، والرصافي، ورضا الشبيبي، ومحمود الملاح (رحمهم الله) وأحمد الصافي النجفي، وعلي الخطيب. كما كان مؤرخ العراق الشهير المرحوم المحامي الأستاذ عباس العزاوي بين كتاب الحاصد المرموقين، بينما كان القصصي المصري الكبير الأستاذ محمود تيمور يخص الحاصد بين حينٍ وآخر بعدد من قصصه القيمة.

وإلى جانب هؤلاء وأولئك كان للحاصد كتاب مرموقون ينشرون نتاجاتهم بحروف وإمضاءات مستعارة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الكاتب الباحث (سليم توفيق) الذي كان يتابع نشر البحوث العلمية وآخر التطورات في عالم الاختراع بإمضاء (راديوس)، والحقوقي اللامع والأديب الذواقة الأستاذ (صالح مصري) الذي كان يوافي الحاصد بانتظام ولردح من الزمن برسائله من أمريكا في شؤون أدبية وفنية تشمل فيما تشمل أحاديث طريفة عن هوليوود وحياة النجوم وترجمات لقصص حديثة. وكان يوقع كل ذلك بحرف (ص)، كما لا يفوتنا أن نذكر هنا المرحوم الدكتور (البرت الياس) الذي كان يوافي الحاصد برسائل وتقارير أدبية وعلمية من باريس أشهرها الحديث الخاص الذي أجراه باسم مجلة الحاصد مع العالمة الفرنسية الشهيرة (مدام كوري) التي ساعدت زوجها على اكتشاف عنصر الراديوم، ذلك الحديث الذي كان لنشره في الحاصد يومذاك صدى إعجاب بهذا السبق الصحفي بالنسبة إلى الصحافة العراقية الناشئة.

ذو الصناعتين الدكتور نور الله

الدكتور نور الله

ساهم المرحوم الدكتور نور الله (1885 – 1952) – ذو الصناعتين الطب والكتابة – بقسط لا بأس به في الكتابة إلى الحاصد في مواضيع صحية وبحوث مختلفة، كان بعضها أقرب إلى الطرائف والنوادر منه إلى البحوث العلمية. وكانت مقالاته مركزة ومختصرة، وكان البعض الآخر منها يشتمل على حِكم وأمثال وملاحظات اجتماعية قيّمة. وبذلك أثبت المرحوم الدكتور نور الله إنه لم يكن طبيباً بارعاً فحسب، بل كان كاتباً اجتماعياً أيضاً.

كان المرحوم الدكتور نور الله من أوائل الأطباء اليهود في العراق، فقد مارس الطب منذ بداية الحرب العالمية الأولى (1914) جنباً إلى جنب مع المرحوم الدكتور مرزا يعقوب، ثم مع المرحوم الدكتور داود معلم نسيم. وكان شديد العطف على الفقراء يعالجهم مجاناً ويمكنهم من شراء الدواء على حسابه الخاص، كما كان من وجوه المجتمع العراقي وقد انتُخب عضواً لإحدى دورات المجلس الجسماني. أما فيما يخص نشاطه الأدبي، فقد سبق له أن كتب لمجلة (يشورون) ثم لمجلة (المصباح – هامينورا) – وسنأتي إلى ذكر هاتين المجلتين في ملحق هذا البحث – ثم لمجلة (الحاصد). كما ألّف بمعاونة المرحوم عزرا حداد كتاباً أدبياً واجتماعياً قيماً يشتمل على فكاهات ونوادر وحِكم، بيع في حينه بنطاق واسع في جميع أنحاء العراق، واشتهر لدى الناس باسم (نوادر وفكاهات الدكتور نور الله). وقد تبرع رحمه الله بريعه للطائفة الإسرائيلية في بغداد لغرض مساعدة فقرائها.

توفي في بغداد عن عمر يناهز الـ67 عاماً، وكان منهك القوى في سني حياته الأخيرة. ومن أنجاله في إسرائيل الآن كل من الطبيبين البارعين الدكتور موسى نور الله والدكتور منصور نور الله، وكلاهما يعمل في مستوصفات صندوق المرضى (كوبات حوليم). أمد الله في عمريهما ووفقهما لخدمة الإنسانية.

كاتب هذا البحث:

في ميدان الدراسات والبحوث الأدبية أيضاً، ساهمت أنا بكتابة جملة بحوث أدبية عن كبار الأدباء والشعراء الفرنسيين وكذلك في ترجمة قصائد وقصص من روائع الأدب الفرنسي والتركي الحديث، بالإضافة إلى القصص الموضوعة والمقطوعات واليوميات والرسائل الأدبية وغيرها، مما كنت أمد به الحاصد في جميع سنوات حياتها إلى آخر عدد من أعدادها.

ومن طريف ما أتذكر ....

النقطة الأخيرة التي يجب أن نسجلها للحاصد بتقدير هي أنها عندما كانت تقرر صلاح أو عدم صلاح القصة الموضوعة أو المترجمة للنشر، كانت تدقق بعناية بالغة مضمون القصة الذي تعتبره هو الأساس في كل شيء، الأساس الذي تستند إليه في تقرير نشر أو عدم نشر القصة، ولا يهمها بعد ذلك أن يكون صاحبها كاتباً عريقاً في الكتابة أو مستجداً في أول الطريق. والطريف في هذا الصدد إن الحاصد كانت قد نشرت لي في إحدى سنواتها الأولى قصة من الأدب التركي الحديث كنت قد ترجمتها لها عن الفرنسية، وكنت آنذاك لا أزال طالباً في الصف المنتهي من مدرسة الأليانس. وإذا بمجلة سورية شهيرة (مجلة الحديث الشهرية للأديب الكبير الكيالي) تقتبس تلك القصة عن الحاصد وتطلق على مترجمها لقب (الأستاذ الأديب)، ولم يكن ليعنيها أن تعلم أو لا تعلم أن مترجم القصة طالب أو غير طالب، وإنما كان يعنيها فقط أنها تقتبس للنشر قصة مترجمة ترجمة فنية صحيحة ذات مضمون أصيل وأسلوب شيق. وكتحصيل حاصل إنه لابد أن يكون مترجمها الذي هو أحد كتاب الحاصد "أستاذاً" و "أديباً" يشار إليه بالبنان! وتلك البادرة كانت وستظل في نظري أغلى وأثمن شهادة تعطيها مجلة أدبية سورية كبرى لمجلة الحاصد وخطتها المُثلى في النشر.

ملحق للبحث

الأستاذ مئير بصري - مساهمة مأثورة

مير بصري

تثبيتاً للحقيقة والتاريخ، أرى لزاماً علي أن أتطرق في هذا الملحق إلى ذكر شخصيات لها شأنها في عالم الصحافة والأدب وزملاء وزميلات إن لم يكن لمعظمهم علاقة مباشرة بالحاصد، إلا أنهم قد كان لهم، بشكلٍ أو بآخر، أثرهم في تاريخ الصحافة العراقية:

إذا كان تاريخ العراق المعاصر قد سجل لمجلة الحاصد مساهمتها المرموقة وأثرها الفعال في بناء صرح النهضة الأدبية والفكرية الحديثة في وادي الرافدين، فإنه قد سجل أيضاً للأستاذ مير بصري الأديب والشاعر والباحث والمؤرخ مساهمته المأثورة في رفع لواء هذه النهضة طيلة فترة امتدت سنين طويلة وتواصلت حتى يوم مبارحة الأستاذ مير بصري أرض العراق في تشرين الأول 1974، وقد كان هو وصاحب الحاصد في كل تلك السنين علمين لامعين في سماء الفكر والأدب والشعر والقصة، وكان كلاهما يمد الصحف والمجلات العراقية والعربية بثمار يراعه وينبوع مواهبه. وكانت دعوتهما معاً إلى حضور مؤتمر الأدباء العرب الذي عُقد في بغداد في نيسان 1969، ناهيك عن ظهورهما على شاشة التلفزيون العراقي، تعبيراً حقيقياً على الصعيد الرسمي عما يستحقه كلاهما من تكريم وتقدير وما نالاه من مكانة واحترام لدى مختلف الأوساط الأدبية والاجتماعية في العراق.

وتشاء الأقدار أن تكون مدرسة الأليانس قد "أنجبت" الأستاذ أنور شاؤل وأنجبت فيما بعد غيرهما وغيرهما ممن أصبحوا من كتاب الحاصد ومن العاملين في الصحافة العراقية وفي ميدان الأدب

بمختلف فنونه. فكانت تلك المدرسة مثالاً للأم الحنون التي أرضعت الأستاذ مير بصري وأنمت مواهبه الأدبية ورعت ذكاءه الوقاد، فما كاد يتخرج فيها سنة 1928 حتى نُشر له لأول مرة شعر منثور بعنوان "الحرية" في جريدة "النهضة العراقية" فواصل الكتابة والنشر بعد ذلك شعراً ونثراً في مختلف المجلات والجرائد العراقية وكذلك المجلات السورية واللبنانية والمصرية، ناهيك عما أُذيع له من أحاديث مختلفة من محطة الإذاعة العراقية وسائر الإذاعات العربية، مما دل على أصالة واستعداد كانت قاعدتهما ونقطة انطلاقهما مدرسة الأليانس نفسها التي هيأت الأستاذ مير بصري ليتبوأ هذه المكانة المرموقة في عالم الأدب بمختلف فنونه، وفي عالم البحوث التاريخية والاجتماعية والدراسات الاقتصادية، فسطع نجمه في هذه الآفاق الواسعة بصورة متواصلة لم تعرف التوقف أو الفتور أو الانقطاع في مختلف الأدوار التي مرت على العراق. وكان أثر تضلعه بالأدب الفرنسي من المظاهر البارزة والسمات الواضحة التي امتازت بها كتاباته الأدبية، فضلاً عن تنوع تلك البحوث والكتابات وكثرتها. وكان في الحقيقة "مرجعاً أدبياً" من المراجع النادرة المثال في العراق، كما كان يُعتبر لغوياً ضليعاً ومؤرخاً موهوباً، ومؤلفه (أعلام العراق في القرن العشرين) الذي يتضمن تراجم نحو 950 شخصية عراقية وغير عراقية، والذي لم ينشر منه حتى الآن سوى الجزء الأول يعتبر كنـزاً ثميناً في هذا اللون من البحث الذي سيأخذ مكانه في التاريخ الحديث، وهو يكاد يكون الأول من نوعه بعد أن ظلت المكتبة العراقية تفتقر إلى أمثاله. وسيكون نشره كاملاً تحفة أدبية واجتماعية وتاريخية قيمة ساعدت على تحقيقها اتصالات الأستاذ مير بصري الفكرية الوثيقة مع مختلف الشخصيات العراقية التي قدرت له دأبه ونشاطه وتتبعه وخدمته المتواصلة في سبيل دعم النهضة الأدبية في ربوع الرافدين، وقد تجلى كل ذلك فيما كتبه ونشره حتى الآن من مؤلفات أهمها (مباحث في الاقتصاد العراقي) ومجموعة قصص (رجال وظلال) و (أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث)، بالإضافة إلى ملامحه الشعرية كـ (نهاية الأبطال) و (فتاة من بغداد) و (مواكب العصور) وغير ذلك من جهود أدبية وترجمات قيمة. وكان الأستاذ مير بصري بالإضافة إلى كل ذلك مثالاً حياً للإداري الكفء فيما أشغله من مناصب حساسة في العراق، والممثل الاقتصادي البارع والمحاضر المتمكن من المواضيع التي حاضر فيها ليس في العراق فحسب بل في خارج العراق أيضاً خلال سفراته وانتدابه من قبل الجهات الرسمية العراقية، وبالإضافة إلى كل هذا وذاك كان هو الابن البار والراعي الأمين لطائفته التي تولى إدارة شؤونها، ثم شغل رئاستها بعد وفاة رئيسها المرحوم الحاخام ساسون خضوري، وذلك في أشد عهودها حراجة وعبر النكبات السود التي تتابعت عليها.

وقد كشفت مواقفه في تلك الفترات القاتمة من سنة 1967 لغاية نزوحه عن العراق، عن شجاعة نادرة وخلق رفيع وإيثار وتضحية، دفاعاً بكل الطرق عن الحق والعدل، وكفاحاً متواصلاً بكل الوسائل الممكنة ضد الجور والتعسف، مما أكسبه احتراماً فوق احترام، وتقديراً فوق تقدير ليس في داخل العراق فحسب بل في خارجه أيضاً.

منشي زعرور "السميذع العربي"

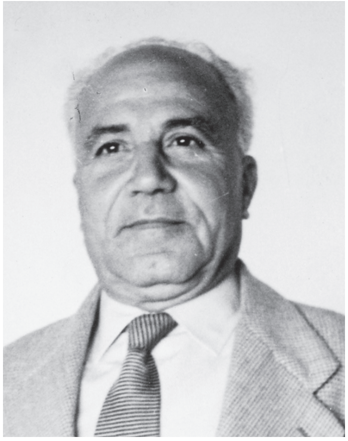

منشي زعرور

في مقدمة الزملاء الذين كان لهم شأنهم في مهنة البحث عن المتاعب، الصحفي "العصامي" العراقي الشهير المرحوم الأستاذ منشي زعرور الذي ذاع صيته في كل مكان في العراق ولمع اسمه (السميذع العربي) وكان واحداً من رواد الصحافة اليهود الأوائل في العراق، وهو والد الأستاذ كرم زعرور الصحفي والمعلق السياسي اللامع في التلفزيون الإسرائيلي. وقد ساهم المرحوم منشي زعرور بنطاق محدود في الكتابة إلى الحاصد عن بعض المواضيع العامة. ولكن أهمية دوره الصحفي لا تنحصر في ذلك، بل شملت ميداناً صحفياً واسعاً. ويمكن أن يُنعت "بالصحفي العصامي" بمعنى الكلمة. فقد شق طريقه بنفسه فقط في أوائل العشرينيات إلى مهنة البحث عن المتاعب!

فالمرحوم منشي زعرور (1972-1900) – ومن عجائب القدر أن يكون قد ولد وتوفي في نفس السنتين اللتين ولد وتوفي فيهما المرحوم عزرا حداد – قد استطاع بفضل فكره النير وذكائه الوقاد وشجاعته الأدبية أن يتطور من عامل مطبعة في مطلع صباه إلى محرر – في مطلع شبابه – في جريدة (العرب) للعلامة المرحوم الأب انستاس الكرملي، ثم إلى رئيس تحرير لجريدة (العراق) للمرحوم الصحفي القدير الأستاذ رزوق غنام. وبعد احتجاب جريدة (العراق)، عمل المرحوم الأستاذ منشي زعرور محرراً في عدد من الصحف، منها البلاد، والإخاء الوطني، والعهد الجديد. وفي الواقع انه لم يكن محرراً عادياً في تلك الصحف، إنما يمكن وصفه بمدير تحرير وأكثر. ومما هو جدير بالذكر انه قد اشتهر إلى جانب مقالاته السياسية ومنجزاته الصحفية، بمجالسه الأسبوعية في جريدة (العراق) تلك المجالس التي كان يؤمها كبار الشعراء والأدباء ورجال السياسة.

وقد اضطر المرحوم الأستاذ منشي زعرور اضطراراً في آخر سني حياته في العراق أن يعمل في جريدة (الحوادث) بصفة مخبر محلي (ليس إلا) وذلك في عام 1951، بعد تلك المكانة المرموقة التي كانت له في عالم الصحافة، وبعد أن سدت بوجهه جميع أبواب العمل الصحفي – على سعتها آنذاك – وبعد أن أحاقت به الضائقات والمشاكل من كل جانب، وبعد أن تنكر له البعض من أصدقائه المحسوبين على الأدب والشعر من الذين كان رحمه الله قد عمل جاهداً لتشجيعهم على الكتابة والنظم وتكوين شهرة لهم، حتى أن بعض أولئك الأشخاص لم يأنف من الدس عليه في إحدى الصحف ليحرض الأستاذ عادل عوني، صاحب جريدة (الحوادث) على الاستغناء عن خدمات منشي زعرور، رغم تفاهة ما كان يتقاضاه لقاء عمله ذاك شهرياً. وقد شكا إلي رحمه الله هذه الحقيقة المرة وكان في حالة لم يسبق أن رأيته في مثلها من التذمر والاستياء وذلك عندما زرته في عام 1952 في مكتبه بجريدة الحوادث، وفاتحني بعزمه على النـزوح عن العراق نهائياً مهما واجه من مشاكل وصعاب مادية نتيجة لذلك. وبالفعل فإنه حصل بعد ذلك على جواز سفر إلى خارج العراق واستقر به المقام في إسرائيل حيث استطاع أن يواصل ممارسة عمله الصحفي في عدد من الصحف الصادرة باللغة العربية، إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

ومن ذكرياتي الخاصة عن المرحوم منشي زعرور أنه قد طاب لنا أن نسأله ذات مرة عن معنى (السميذع العربي) الذي اختاره لنفسه لقباً أو اسماً مستعاراً، فقال لنا: ارجعوا إلى القاموس المحيط لتجدوا المعنى ... وعند رجوعنا إلى القاموس المحيط، وجدنا أن (السميذع) – بفتح السين والميم ومن الخطأ ضم السين – تعني فيما تعني: السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف والشجاع والذئب والرجل الخفيف في جوانحه والسيف ...

رحم الله الرائد الصحفي الطيب الذكر الأستاذ منشي زعرور الذي كان بحق "السَّميذع" العربي اليهودي، بكل معنى الكلمة.

جـوانـب من عملـي الصحفـي
وزمـلاء أُعجبـت بـهـم

صالح نعيم طويق

قبل أن أتحدث عن بعض الزملاء الذين عرفتهم وأعجبت بهم، سواء أكان ذلك بحكم علاقتي الصحفية بهم، أم خارج نطاق هذه العلاقة، يقتضيني السرد أن ألقي بعض الضوء على جوانب من عملي الصحفي:

كنت خلال صدور الحاصد وبعد احتجابها محرراً في عدد من الصحف العراقية، وخاصة منها صحف: المبدأ (للمرحوم الزعيم الوطني الحاج جعفر أبي التمن) والأهالي (للأستاذ المحامي عبد القادر إسماعيل) وصوت الأهالي وصدى الأهالي (للمرحوم الأستاذ كامل الجادرجي) الذي لازمته وعملت معه لغاية سني حياته الأخيرة. وكنت قد انتميت إلى حزبه (الوطني الديمقراطي) منذ تأسيسه، ثم الطريق والزمان (للأستاذ توفيق السمعاني) والرأي العام (لشاعر العرب الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري) والحوادث (للأستاذ عادل عوني) وغير هذه من الصحف التي عملت فيها من فترةٍ إلى أخرى.

وكان عملي الصحفي يشمل تحرير الأخبار الخارجية والتعليق عليها وترجمة المقالات المهمة عن أمهات الصحف العالمية، وكذلك كتابة المقالات السياسية بما في ذلك الافتتاحيات التي عبرت فيها بكل صراحة ووضوح عن عقيدتي الوطنية الديمقراطية والتقدمية. وقد استحدثت طريقة خاصة لنقل الأنباء العالمية من الإذاعات العالمية باللغتين الانكليزية والفرنسية مباشرةً إلى اللغة العربية بطريقة اختزال خاصة. وكان لعملي هذا الذي هو الأول من نوعه في العراق، أهمية خاصة خلال الحرب العالمية الثانية إذ ساعد على تزويد القراء بأحدث الأنباء الحربية والسياسية

اليومية وخطابات أقطاب الدول الحليفة المحاربة ضد النازية والفاشية، في وقت لم يكن فيه وجود في العراق لوسائل الإعلام الحديثة (من مسجلات وغيرها). وكان ذلك في جريدة (الزمان) بصورة خاصة. أما في صحف (الأهالي) و (صوت الأهالي) و (صدى الأهالي) فقد كنت محرراً متخصصاً بكتابة افتتاحياتها، إلى جانب استحداثي باباً خاصاً فيها باسم (قالت صحف العالم أمس). وقد جعلت مصدر ذلك الباب أغلب محطات الإذاعة العالمية التي تذيع بالانكليزية والفرنسية، مما كان يتتبعه القراء باهتمام. وكان المرحوم الأستاذ كامل الجادرجي يصفني أمام أصدقائه والمقربين إليه بأنني "فكره ويده" وبأنني "مؤسس الأهالي" وكان يرد دائماً إن هذه الصفات "المثلى" في نظره هي أقل ما يمكن له أن يصفني بها! أما أنا فقد كنت أرى في مثل هذا الإطراء مجرد تعبير لبق عن صدق الأخوة وجمال الدعابة والتشجيع لي على مواصلة العمل الشاق!

واصلت ممارسة الصحافة لغاية قيام حركة 8 شباط/فبراير 1963 المسلحة (14 رمضان) فقد رفضت بعد ذلك ممارسة كل عمل صحفي أياً كان نوعه – رغم مختلف المغريات – لأن أي عمل كهذا كان سيلزمني أن أساند ذلك الوضع الديكتاتوري الشاذ، أو أن أساير رجاله بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فتركت الصحافة نهائياً بعد خدمة متواصلة دامت ثلاثين عاماً بكاملها، ومارست عملاً آخر بسيطاً وبعيداً كل البعد عن الأمور العامة. وقد تقبلت كل ذلك برحابة صدر كاحتجاج صامت من قلبي – وهو أضعف الإيمان – على ما لحق آنذاك بالديمقراطيين والتقدميين في العراق من الظلم والأذى، وبعد ذلك مباشرةً بحق العديد من أبناء الطائفة اليهودية الذين ذهبوا ضحية للغدر والعدوان.

وكان شباط/فبراير 1963 في الحقيقة "بداية النهاية" بالنسبة إلى الطائفة اليهودية في العراق بما ملكت من تراث وجاه، وكانت "نهاية النهاية" قد لاحت للعيان ابتداءً من أواسط سنة 1967، ومروراً بمآسي أعوام 1971-1968 الرهيبة الدامية، وقد انتقل إلى جوار ربه آنذاك مأسوفاً عليه آخر ممثل دنيوي وديني معاً للطائفة اليهودية في العراق، أعني به الراب الجليل المرحوم الحاخام ساسون خضوري، وكانت "نهاية النهاية" هي اختطافات اليهود والتنكيل بهم، كما هو معلوم لدى الجميع.

الأستاذ يعقوب خزمة

رجل الصحافة والقانون

يعقوب خزمة

الأستاذ يعقوب خزمة رئيس تحرير جريدة (الأنباء) الغراء نجم لامع في عالم الأدب والصحافة والقانون، بزغ في العراق ليزداد إشعاعاً وإضاءةً في إسرائيل فيما بعد. ويكفي أن نأخذ بالحسبان أنه قد مارس الصحافة إلى جانب ممارسته للمحاماة في فترة من أقسى وأشق الفترات التي مرت بالطائفة اليهودية في العراق (وذلك من عام 1948 لغاية نزوحه إلى إسرائيل في عام 1951)، يكفي أن نأخذ كل ذلك بالحسبان لنقدر ما كابده من متاعب ومشاكل في ذلك الوقت الحرج الذي كانت فيه المظالم والإضطهادات تنهال إنهيالاً على أبناء طائفتنا في العراق، وخاصةً منهم أولئك الذين شقوا طريقهم إلى ميادين الخدمة العامة كالحقوق والصحافة. ومع ذلك فقد قام الزميل يعقوب خزمة بواجبه في هذا المضمار خير قيام، إذ اقتحم جميع المصاعب والعقبات التي اعترضت طريقه بكل ما أوتيَ من شجاعة وإقدام وصلابة وإيمان، دفاعاً عن الحق ونصرة للعدالة والقانون وتدعيماً للحقيقة وخدمةً للمصلحة العامة بكل إباء وفخر واعتزاز .. حتى جاء إلى إسرائيل ليواصل أداء رسالته الإنسانية والاجتماعية النبيلة والقيام بواجبه المقدس في نفس الميادين التي شق طريقه إليها في العراق، وهي ميادين المحاماة والصحافة.

الأستاذ يعقوب خزمة ولد في بغداد عام 1925 وتخرج في كلية الحقوق العراقية عام 1948. وفور تخرجه باشر بممارسة المحاماة والعمل الصحفي في نفس الوقت، إذ عمل في جريدة (الأخبار) و (الاتحاد الدستوري) البغداديتين، إلى أن نزح إلى إسرائيل في عام 1951. وكان عليه فور قدومه إلى إسرائيل أن يعمل بكل جهد ونشاط استعداداً لاجتياز امتحانات معادلة شهادة الحقوق، فاجتازها

بنجاح باهر دل على ذكائه وألمعيته، فتم له بذلك الحصول على إجازة المحاماة الإسرائيلية. ولكن مواهبه وتطلعاته الثقافية أبت عليه الوقوف عند هذا الحد وإن كان هذا الحد بذاته يعتبر نجاحاً باهراً ومكسباً كبيراً له – فاجتاز دورة حكومية للعلوم السياسية في إسرائيل، بالإضافة إلى دورتين مهنيتين في لندن وباريس .. وهكذا تهيأ له أن يصبح بكل جدارة واستحقاق مديراً لدار الإذاعة الإسرائيلية. وقد ظل يشغل هذا المنصب مدى تسع سنوات متواصلة، وذلك من سنة 1960 لغاية سنة 1969. وخلال تلك الفترة الدقيقة وفق الأستاذ خزمة كل التوفيق في تطوير الإذاعة العربية من إسرائيل، وزاد من مدة بثها، من سبع ساعات إلى حوالي 15 ساعة يومياً. ويمكن القول بكل تأكيد إن الإذاعة قد أنجزت بإدارته آنذاك على خير وأفضل وجه أهم أدوارها التاريخية التي كانت ملقاة على عاتقها في حرب الأيام الستة ... وفي عام 1969 عاد الزميل يعقوب خزمة إلى ممارسة مهنة المحاماة، ففتح له مكتباً مستقلاً للمحاماة في القدس .. ومنذ عام 1970 وهو يتولى رئاسة تحرير جريدة (الأنباء) اليومية السياسية التي استطاعت بنشاطه المشهود ومؤازرة رعيل ممتاز من المحررين والمراسلين أن تشق طريقها قُدماً لتحتل مكانة مرموقة في عالم الصحافة العربية في إسرائيل إخراجاً وإنتاجاً.

وهذه الصفحة المشرقة من حياة الزميل يعقوب خزمة، تشهد على جهده المتواصل وثباته وشجاعته لاقتحام المصاعب والعقبات على اختلافها، كما تشهد على انطلاقه في ميادين الخدمة العامة بذكائه النير وإيمانه الراسخ، مع العزم والتصميم على توخي خدمة الصالح العام والعمل لخير المجموع، في أكثر ميادين الخدمة العامة حساسية ودقة، وأوثقها اتصالاً بحياة الشعب وتطلعاته إلى غدٍ أسعد ومستقبل أفضل وإلى مزيد ومزيد من التقدم والازدهار والحرية والديمقراطية والعدالة والتعاون والسلام في ظل التعايش السلمي والإخاء ... وهي المبادئ السامية التي آمن بها الزميل يعقوب خزمة وكرس حياته للنضال والمساهمة في سبيل تحقيقها ورفع لوائها.

الأستاذ اسحق بار - موشيه

مؤلف "الخروج من العراق"

اسحق بار-موشيه

عرفته في العراق في مطلع شبابه أديباً وشاعراً خطا خطوات ناجحة في ميدان الصحافة الأدبية والسياسية. وقد توسمت فيه الألمعية والذكاء. وكان من بواعث أسفي شخصياً انه لم يدرك اللحاق بركاب "الحاصد" التي كانت قد احتجبت قبل ذلك بعدة سنوات. وقد توقعت له مستقبلاً باهراً. كيف كان يمكن لأديب ناشئ آنذاك يؤمن بالحرية والديمقراطية والحق والعدالة كالأستاذ اسحق بار-موشيه أن يواصل انطلاقه في مثل ذلك الجو الخانق الذي كان يخيم على العراق؟

إننا لسنا بحاجة إلى التبسط في شرح تلك الظروف فقد أغنانا عن ذلك الأستاذ اسحق بار-موشيه نفسه بكتابه الرائع النفيس (الخروج من العراق)، مما يلقي ضوءاً ساطعاً على تلك الظروف القاسية التي عاشها آنذاك في العراق وسائر إخوانه من المفكرين الأحرار.

وكان من بواعث سروري وسعادتي أن ألتقي بالأستاذ اسحق بار-موشيه في إسرائيل وقد تبوأ بكل جدارة واستحقاق مركزاً مرموقاً في الإذاعة والصحافة وميادين الأدب والقصة، فاطلعت على عدد من قصصه وكتاباته الأدبية الأخرى ورأيت انه قد نهج نهجاً جديداً يُعد فريداً من نوعه في فن القصة، بأسلوب طريف يجذب ويشوق القارئ إلى مطالعة قصته وتذوقها والشعور بأنه يعيش في جوها، يعايش أبطالها ويتجاوب مع أحاسيسهم وآمالهم في الحياة.

أما فيما يتعلق بسيرة الأستاذ اسحق بار-موشيه، فإنه قد ولد في بغداد عام 1927 وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة (راحيل شحمون) وفي مدرسة الرصافة. أما تحصيله الثانوي فقد أتمه في

الإعدادية الأهلية التابعة للطائفة اليهودية في بغداد والتي كان المربي الأستاذ مئير زكريا مديراً لها. وفي عام 1945 دخل كلية الحقوق وأنهى دراسته فيها عام 1949. وكان أثناء دراسته في الحقوق يعمل موظفاً في بعض الشركات، ومنها شركة نفط الرافدين، فشركة نفط خانقين، وذلك حتى شهر أيار/مايو 1950. وفي 1 أيلول/سبتمبر 1950 قدم إلى إسرائيل. ومما يذكر أنه خلال دراسته الثانوية والجامعية عمل "هاوياً" في بعض الصحف العراقية. وقد بدأ بنشر عدد من قصصه وقصائده منذ عام 1941 (وهو في الرابعة عشرة من سنيه!!) وكان بعضها بأسماء مستعارة في بعض الصحف والمجلات ومنها مجلة (المجلة) المشهورة. وقد ترك في العراق القسم الأكبر من رواية كان يكتبها خلال فترة الاستعداد للسفر، ولم يستطع جلبها معه. كما ترجم رواية لجورج اورويل تركها هناك أيضاً. وساهم في تحرير ونشر عددين أو ثلاثة أعداد من مجلة أدبية باسم "الوقت الضائع"، وربما كان هذا الاسم نسبةً لما كان يعتقده الكثير من المثقفين آنذاك في العراق من أن كل شيء كان ضائعاً خلال تلك الفترة الحرجة الدقيقة من تاريخ البلاد.

وفي إسرائيل انضم الأستاذ اسحق بار-موشيه إلى أسرة الإذاعة عام 1958، وعمل في وظائف كثيرة داخل إسرائيل وخارجها، ودخل إحدى الكليات حيث درس سنة كاملة. وقام في عام 1968 بتأسيس جريدة (الأنباء)، ومنها عاد إلى الإذاعة عام 1970 وهو رئيس القسم السياسي فيها. ومنذ عام 1972 قرر نشر مؤلفات كثيرة تجمعت لديه، ولم ينشر منها قبل ذلك شيئاً.

وآخر كتاب له هو "الخروج من العراق" الذي ستُنشر ترجمته العبرية قريباً. ثم مجموعته القصصية (أسوار القدس) الذي صدر مؤخراً.

ومن سيرة هذه الحياة الأدبية الحافلة للأستاذ اسحق بار-موشيه يتضح جلياً أنه "شعلة" من النشاط في ميدان الخدمة العامة وفي ميدان الإنتاج الأدبي الهادف.

العماري والبصون

نجمان في عالم الصحافة

سبقني إلى النـزوح عن العراق زميلاي الصحفيان اللامعان الأستاذان مراد العماري وسليم البصون اللذان كانا قد نهجا نهجي في نبذ كل عمل صحفي بعد 8 شباط 1963. وكان كلاهما قد لقي الأمرين وتحمل المتاعب والمصاعب من جراء العمل في الصحف الوطنية، فكان من نصيبهما الإبعاد والاعتقال والتشريد في أحيان كثيرة وفي فترات مختلفة بسبب وطنيتهما الصادقة وتفانيهما في سبيل خدمة الشعب العراقي، وبحكم كونهما يهوديين على الأخص. وكان لكل من هذين الزميلين سجل حافل بالمآثر الصحفية والمواقف السياسية التي اتسمت بالجرأة والشجاعة في مختلف الصحف الوطنية التي عملا فيها. وقد اكتسب كل منهما مكانة صحفية مرموقة في مختلف الأوساط السياسية التقدمية، وهذا ما أثار عليهما حفيظة العناصر الرجعية الحاكمة وغير الحاكمة، ولذلك نالهما ما نالهما من تعسف في مختلف عهود الحكم في العراق. ومع أنه لم يكن للزميلين علاقة بالحاصد التي هي موضوع بحثنا – لأنهما شرعا بممارسـة العمل الصحفي بعد احتجاب الحاصد– إلا أنني رأيت من واجبي بحديثي هذا عنهما أن أنقل إلى القارئ الكريم صورة لما كان يعانيه الصحفيون اليهود في العراق منذ أوائل الأربعينيات لغاية 8 شباط/فبراير 1963. وقد تمثلت في الزميلين الأخوة العربية– اليهودية أصدق تمثيل.

مراد العماري

مواقف جريئة وأفكار نيرة

مراد العماري

كان الزميل مراد العماري أديباً وشاعراً في مطلع شبابه قبل أن يصبح صحفياً مرموقاً. وكانت بداية عمله الصحفي اشتغاله محرراً في مجلة (الرابطة) الأسبوعية لصاحبها الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم. وبعد ذلك عمل محرراً في جريدة (الشعب) لصاحبها الأستاذ يحيى قاسم في الأربعينيات. وكان يعمل معه في تلك الجريدة الزميل منشي سوميخ، المعلق السياسي المرموق في دار الإذاعة الإسرائيلية حالياً والذي تنم تعليقاته عن اطلاع واسع وتعقب متواصل للأحداث.

والزميل مراد العماري ولد في مدينة العمارة جنوبي العراق في أوائل سنوات العشرين وأكمل تحصيله الثانوي في عام 1939 وقد عمل أول الأمر معلماً في إحدى المدارس الابتدائية، ثم التحق بمديرية السكك التي ظل يعمل فيها حتى مطلع عام 1944 بعد أن التحق بكلية الحقوق. ولم يكمل دراسته في الكلية المذكورة بعد أن تأكد له أن من العبث مواصلة الدراسة فيها لأن عميد الكلية كان يحقد عليه لمقال كتبه في جريدة (الشعب) عن (الفاشستية في كلية الحقوق)!

أما علاقة العماري بالصحافة فقد نمت مع نموه وترعرعه، فمنذ أن أصبح في سن الحادية عشرة أخذ يطالع الصحف – مما كشف عن تفتحه الأدبي والصحفي – كما أخذ يستمع إلى الإذاعات بعد انتشار الراديو. أما عمله الصحفي الفعلي فقد بدأ عام 1944 عندما أخذ يعمل مذيعاً في دار الإذاعة العراقية وسكرتيراً لتحرير صحيفة (الشعب) في آنٍ واحد منذ صدور العدد الأول لتلك الجريدة. ولكنه قطع علاقته بالإذاعة وتركها نهائياً بعد أن امتنع عن إذاعة نشرة أخبار كان بضمنها

بيان رسمي عن مظاهرة أُقيمت في بغداد للمطالبة بجلاء القوات البريطانية في العراق قتل فيها المرحوم الشاب اليهودي شاؤل طويق، وذلك لأن البيان لم يتطرق إلى ذكر مقتل المرحوم شاؤل، وكان ذلك في شهر حزيران/يونيو 1946.

وواصل العماري عمله الصحفي ليس في جريدة الشعب فقط، بل في جريدة الأهالي أيضاً، وهي التي عمل فيها مندوباً برلمانياً ومسؤولاً عن الشؤون الخارجية، كما ساهم في كتابة بعض مقالاتها الافتتاحية التي كانت تُنشر له بتوقيع "م" وكان موضع تقدير خاص لمواقفه الجريئة وأفكاره النيرة. واستمر عمله في (الأهالي) حتى عام 1952، ففي ذلك العام وقعت الحركة المسماة (انتفاضة تشرين)، فاعتقل مع من اعتقل من رجال الحزب الوطني الديمقراطي وهيئة تحرير الأهالي، وأُفرج عنه من دون محاكمة، بعد أن بقي معتقلاً نحو شهر من الزمن. ولكنه اعتذر للمرحوم الجادرجي عن مواصلة العمل في الأهالي بعد استئناف صدورها في عام 1953 بسبب الظروف السياسية آنذاك، وبصورة خاصة لأن أحد كبار المحامين من قادة الحزب امتنع عن الوقوف إلى جانبه وهو في المعتقل مثلما وقف إلى جانب غيره. ولكن العماري احتفظ باتصاله الروحي بالأهالي.

وفي عام 1949 التحق بصحيفة (الأوقات العراقية) مندوباً برلمانياً ومخبراً محلياً لها. وكان يعمل في تلك الجريدة أيضاً الصحفي القدير المعروف المرحوم الأستاذ جاك شاؤل. وكان يُعرف آنذاك باسم (جاك سول). وكان من أبرز الصحفيين من حيث المادة والإدراك والدقة والأمانة، واشتغل في نفس الوقت مراسلاً لوكالة يونايتدبريس. وخلال تلك الفترة عمل العماري مع وكالة الصحافة الفرنسية. وكانت الوكالة تروم تعيينه بعد ذلك مراسلاً لها بعد إبعاد مراسلها (وهو فرنسي) من العراق، ولكن الحكومة العراقية لم توافق على ذلك.

وأُعتقل العماري عام 1963 بعد الانقلاب الذي وقع ضد المرحوم عبد الكريم قاسم. ثم أُفرج عنه بعد اعتقال دام نحو شهرين ونصف الشهر، فقرر بعد ذلك عدم الاشتغال في الصحافة وعدم التعاون مع صحافة تلك الفئة الحاكمة، على نحو ما ذكرناه آنفاً. وهو يحمد الله على كونه قد خرج سالماً من تلك المحنة. وفضّل الاشتغال في إحدى الشركات التجارية الأهلية. ومع تدهور أوضاع الطائفة اليهودية في العراق شيئاً فشيئاً آنذاك، اضطر إلى الاستقالة مرجحاً ذلك على قيام

الشركة نفسها بقطع علاقته بها، بناءً على أمر من السلطات المسؤولة آنذاك إلى الشركات بوجوب عدم الاحتفاظ بالمستخدمين اليهود لديها. وكان ذلك في 1/1/1969 فظل بدون عمل إلى أواخر عام 1971 كسواه من المثقفين اليهود العراقيين آنذاك حتى يوم قدومه إلى إسرائيل (يوم الجمعة 24/12/1971)، وهو الآن محرر في قسم الأخبار بدار الإذاعة الإسرائيلية.

وللعماري شخصية محببة أكسبته الاحترام والتقدير لدى جميع عارفيه من العراقيين، ساسة ومواطنين آخرين، ليس لحنكته وبُعد نظره وحسن تقديره للأمور والمواقف واستقامته السياسية والمبدئية فحسب، بل لوفائه وشهامته وإخلاصه لأصدقائه كافةً في السراء والضراء، هذا إلى جانب التضحية براحته في سبيل الصالح العام وتقديم كل مساعدة يمكنه تقديمها لمن يسأله إياها. وقد اشتهر في الوسط الصحفي العراقي بالحرص على أداء واجبات عمله على أكمل وأفضل وجه وبأقصى جهد مستطاع، مواصلاً نهاره بليله من دون أي كلل.

سليم البصون

ألمعية صحفية وانطلاقة فكرية

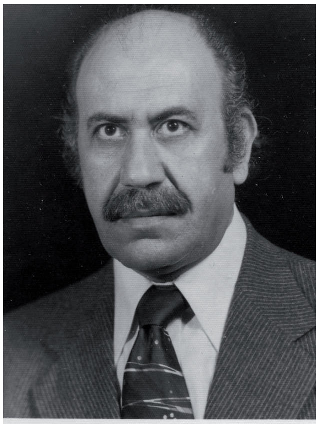

سليم البصون

أما الزميل سليم البصون، الصحفي والأديب والكاتب السياسي والباحث المفكر، فقد كان علماً لامعاً في جميع هذه الميادين. وقد بدأ حياته الصحفية في أوائل الأربعينيات أيضاً، محرراً في جريدة (الشهاب) فجريدة (الشعب)، ثم جريدة البلاد (للصحفي الكبير المرحوم الأستاذ رفائيل بطي)، وعمل أيضاً في عدة صحف وطنية أخرى، وخاصةً منها جريدة (الرأي العام) وكان على صلة وثيقة، فكرية وشعرية وسياسية، بصاحب الجريدة وهو شاعر العرب الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري الذي كان يولي البصون مطلق ثقته واعتماده في تحرير وإصدار (الرأي العام). وكانت للزميل سليم البصون مكانته الخاصة من الحب والاحترام لدى جميع الذين عمل معهم في هذه الصحف، بينما كلفه عمله الصحفي كل ما يمكن أن يصيب أي صحفي حر من تعسف ومضايقة من لدن الحكم الدكتاتوري.

والزميل سليم البصون ولد في بغداد في الثلث الأخير من العشرينيات وهو الشقيق الأكبر لثلاثة أشقاء، أصغرهم هو الرسام الإسرائيلي المعروف نعيم البصون الذي صمم تمثالاً فضياً عن السلام، قدمته الحكومة الإسرائيلية هدية إلى الدكتور كيسنجر إثر توقيع الاتفاقية المرحلية الثانية. وقد توفي والد سليم سنة 1935 في حادث انقلاب سيارة، وكان عمر سليم آنذاك ثماني سنوات فتكفلت بتربيته وتنشئته والدته ببيت جده.

تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة الأليانس، والمتوسطة في ثانوية شماش، والإعدادية في ثانوية التفيض الأهلية المسائية. وما كان ليخطر على البال أن هذا الفتى سيشق طريقه في الحياة العامة بمثل هذه الشجاعة والكفاءة فيكون له سجل حافل في الصحافة والفكر والأدب، فيبلغ عدد الصحف والمجلات التي اشتغل في تحريرها أكثر من عشرين خلال 30 عاماً من 1943 لغاية 1973، وبدأ اتصالاته الأدبية والفكرية والسياسية وهو في السادسة عشرة، عند أول اشتغاله في الصحافة، وكان ذلك في جريدة (الشهاب) عام 1943 كما ذكرنا آنفاً. كما بدأ في نفس الوقت بنشر خواطر ومقالات وقصائد في بعض الصحف والمجلات. وفي ذلك العام نفسه احتُجز في الموقف العام للسجن المركزي في بغداد بسبب نظمه قصيدة سياسية ضد الحكم القائم وإرسالها إلى مجلة (الطريق) اللبنانية.

وفي عام 1945 عمل في جريدة الشعب محرراً ومندوباً برلمانياً لها، فكان أن تعرّف بساسة البلاد وشخصياتها. ومن جملة الصحف التي اشتغل فيها بعد ذلك جريدة (السياسة) لسان حزب الاتحاد الوطني فكان هو المشرف على تحريرها. وفي سنة 1948 تولى البصون على حسابه إصدار جريدة (الاستقلال) لصاحبها طه لطفي البدري الذي ورثها من ابن أخيه عبد الغفور البدري، فكتب فيها البصون مقالات افتتاحية جريئة باسمه الصريح ضد الحكم القائم آنذاك، مما أثار ضده حملة صحفية سياسية وعنصرية في عدد من الصحف الرجعية، وكانت إحداها تدعو إلى "إسكات فم هذا اليهودي الصهيوني وكسر قلمه"! وفي تلك السنة بالذات، سنة زواجه الميمون من (مريم) التي كانت وما زالت له نِعم المؤازر والنصير، أمضى شهر العسل منفياً في قضاء بدرة على الحدود العراقية – الإيرانية، حيث لبث سنة كاملة ... وبعد ذلك أمضى شهرين من الاحتجاز في بغداد، وبعد إطلاق سراحه عاد إلى مزاولة عمله الصحفي، في جريدة الشعب فجريدة البلاد فمجلة قرندل، وفي عهد ثورة تموز 1958 اشتغل في جريدة الرأي العام وجريدة الجمهورية فجريدة الأخبار. وقد اعتُقل في عام 1959 بدسيسة من خصوم المرحوم عبد الكريم قاسم كما جرت محاولة لقتله، وأمضى مدة شهر ونصف الشهر محتجزاً في مدينة السماوة إلى أن أصدر قائد الثورة أمراً بإطلاق سراحه. وبعد حركة (14 رمضان)، اختفى فترة من الزمن لعلمه بوجود محاولة لاغتياله، وخرج بعد ذلك ليس للعمل في الصحافة، بل في بعض الشركات التجارية الأهلية، لرفضه التعاون مع ذلك العهد، ولكنه كان ينشر المقالات والدراسات الأدبية في بعض الصحف المستقلة كجريدة (التآخي). واحتُجز مرة

أخرى من قبل مخابرات الأمن في سنة 1973، ولو لم يتداركه بعض الأصدقاء في وساطاتهم لألحق به أذىً كبير. قدم إلى إسرائيل مع عائلته في النصف الثاني من عام 1973.

ومن نشاطه الأدبي في العراق، مساهمته في إصدار منشورات أدبية دورية، وكتابته المقالات الأدبية والنقدية وممارسته كتابة القصة أيضاً. وله كتاب مطبوع عام 1945 بعنوان (على مسرح الحياة) وهو نفس العنوان الذي اختاره فيما بعد لتعليقاته الشيقة في جريدة (الأنباء) الصادرة في القدس. وله كتب مخطوطة وجاهزة من أبرزها كتابه (الجواهري بلسانه وبقلمي) و (النازية في العراق) و (حقائق عن الحركة الكردية) و (صحافيون أدباء) و (هؤلاء عرفتهم) و (شخصيات من التاريخ) و (دراسات سياسية) و (تراثيات) ومجموعة قصص (قدر يسخر). وهو يعمل الآن في القسم السياسي بدار الإذاعة الإسرائيلية، وتعليقاته مثار إعجاب وتقدير لأنها وليدة البحث والتتبع والجهد المتواصل.

الأديب يعقوب بلبول

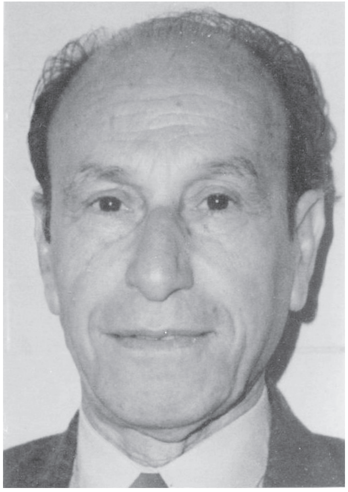

يعقوب بلبول

كان من البارزين في الميدان الأدبي خلال الأربعينيات كاتب أديب يهودي آخر هو الأستاذ يعقوب بلبول الذي أصدر في عام 1938 في بغداد مجموعة قصصية بعنوان (الجمرة الأولى) واشتغل بعد ذلك في الصحافة فترة من الزمن، إذ تولى تحرير مجلة غرفة تجارة بغداد. وقد واصل نشاطه الأدبي والصحفي بمختلف الإمكانيات والوسائل التي تيسرت له آنذاك لغاية نزوحه عن العراق في عام 1950. وهو من خريجي مدرسة الأليانس في بغداد ثم مدرسة شماش، ولم يدخر وسعاً، إلى جانب كتاباته الأدبية وقصصه، في إتحاف القراء بترجمات منوعة من الانكليزية والفرنسية. وقد نشرت بعض قصصه وكتاباته في بعض الصحف والمجلات العربية، ومنها مجلة (الرسالة). كما أن إحدى قصصه قد تُرجمت إلى الفرنسية ضمن كتاب اشتمل على مختارات من القصص العربية الحديثة وصدر في باريس. وكان يراسل إحدى الصحف العراقية اليومية خلال وجوده في سوريا ولبنان فترة من الزمن، ومن كتبه المطبوعة أيضاً مجموعة أشعار متفرقة نشرت في إسرائيل تحت عنوان (مجموعة قصائد في الشعر الرمزي).

نعيم صالح رحميم

صحفي وراء الأخبار

نعيم صالح رحميم

كان بين الزملاء الآخرين ذوي النشاط البارز في مضمار الصحافة العراقية خلال الأربعينيات، الكاتب الأديب الأستاذ نعيم صالح رحميم الذي عمل محرراً في عدة صحف يومية، أخص بالذكر منها صحف الشعب وصوت الأهالي والرأي العام. وكان نشاطه الصحفي يشمل مختلف الفنون الصحفية من تحرير المقالات الافتتاحية والتعليقات السياسية والأخبار الخارجية وإجراء المقابلات والأحاديث الصحفية والترجمات وغيرها.

وكانت مقالات الزميل نعيم صالح رحميم تتسم بطابع أدبي لأنه كان يكتب في نفس الوقت في مواضيع الأدب والفن لبعض المجلات العراقية، وذلك لغاية نزوحه عن العراق في مطلع سنة 1951. ومما هو جدير بالذكر أن بعض المقالات والأحاديث التي كتبها هذا الزميل كانت تحدث ضجة في الأوساط السياسية، لأنه جعل رائده فيها الجرأة والإقدام بدافع إخلاصه لفكرته الديمقراطية التقدمية وتعمقه في تحليل ومعالجة مشاكل الساعة آنذاك، داخلية كانت أو خارجية.

الأستاذ مئير زكريا

مئير زكريا

كان من كتاب البحوث الأدبية والاجتماعية في الصحف العراقية الأستاذ مئير زكريا، وهو الآن رئيس قسم الأخبار في دار الإذاعة الإسرائيلية. وكان خلال وجوده في العراق من رجال التربية المشهود لهم بالكفاءة، فقد كان مديراً لإحدى مدارس الطائفة اليهودية في بغداد وهي (الإعدادية الأهلية). وقد بذل أقصى جهده للنهوض بمستوى تلك المدرسة إلى مصاف أرقى المدارس الثانوية في العراق لصالح الأجيال الصاعدة من أبناء الطائفة اليهودية. وهو مثقف ثقافة عالية، وله إلمام واسع بالمواضيع التربوية والأدبية. ولذلك كانت المقالات التي نشرتها له الصحف العراقية ناضجة ولها مدلولها.

ومدرسة (الإعدادية الأهلية) التي استمرت عشر سنوات، وظلت طيلة هذه المدة بإدارة الأستاذ مئير زكريا. أُنشئت في بغداد سنة 1941، بعد أن تمكن رجال الطائفة اليهودية في بغداد من الحصول على إجازة لفتحها، وكان ذلك أبان اشتداد الحرب العالمية الثانية وانتقال دول المحور من نصرٍ إلى نصر، مما شجع روح التفرقة العنصرية والدعايات النازية في العراق، فكان بنتيجة ذلك أن رفضت المدارس الثانوية الرسمية قبول شبان الطائفة اليهودية، مما جعلهم يتسكعون في الطرقات. ولذلك كان لإنشاء (الإعدادية الأهلية) أهمية بالغة في تلك الفترة الدقيقة، فتمكنت من إنجاب عدد من المثقفين اليهود. ويتملك الأستاذ مئير زكريا فخر خاص عندما يراهم في مختلف مجالات الحياة في إسرائيل والخارج وهم يتولون مناصب عالية ويتبوءون مكانة مرموقة. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ مئير زكريا (هذا جزائي وحسبي)!

ومما هو جدير بالذكر أنه عند تعيين الأستاذ مئير زكريا مدرساً في مدرسة راحيل شحمون عام 1931 قام بإدخال الروح الرياضية إلى مدارس الطائفة، وكان أولياء الأمور يعتبرون الرياضة والألعاب ضرباً من اللهو ومضيعة للوقت، فتمكن الأستاذ مئير زكريا من إقناعهم بأن الرياضة جزء من التربية، وأن مكانتها لا تقل عن التاريخ والرياضيات، وفي ذلك ما فيه من نجاح لتطبيق جانب مهم من مبادئه التربوية، بالإضافة إلى أنه كان دائماً حراً في آرائه التعليمية إذ أدخل إلى المدارس روحاً ديمقراطية إنسانية، فكان ينظر إلى الطالب كأخ صغير يجب معاملته بهذه الصفة، بينما كان المعلمون عامةً ينظرون إليه كشيطان ويعتبرون الشدة وسيلة للتعليم والعصا من الجنة! وهكذا أثبت الأستاذ مئير زكريا الذي جعل رائده الإخلاص في عمله وواجبه وإرضاء ضميره، كونه مربياً مرموقاً وناجحاً.

جريدة "البريد اليومي"

ذكرنا أن حياة الحاصد تؤلف جزءاً لا يتجزأ من حياة الطائفة اليهودية ومنجزاتها الثقافية والأدبية والصحفية في العراق. ومثلما تطلبت معالجة تاريخ الحاصد التطرق بإيجاز في سياق هذا البحث إلى ما سبق صدورها وما تخلله من أحداث في تاريخ يهود العراق خاصةً، وفي مضمار انجازات هذه النخبة في الحقل الوطني بوجهٍ عام، كذلك رأينا من واجبنا التنويه بمنجزات لفيف من الصحفيين والأدباء اليهود برزوا بعد احتجاب الحاصد، علّنا بذلك نستطيع أن نقدم إلى القارئ الكريم لمحة متكاملة للوضع الذي كان عليه العاملون في هذا الحقل قبل صدور الحاصد وبعد احتجابها لغاية كتابة هذا البحث.

وبهذا الصدد لابد لي أن أشيد بإقدام فئة من الشباب اليهودي المثقف في العراق، وهم السادة المحامي مئير معلم، المعلق في الإذاعة الإسرائيلية حالياً، وريشارد شماش وإبراهيم شكوري وسهيل إبراهيم، يؤازرهم المرحوم الأستاذ عزرا حداد إذ إنهم - وفي ظرف حرج جداً من حياة البلاد السياسية- حصلوا على امتياز إصدار جريدة يومية سياسية باسم (البريد اليومي) وذلك في نيسان/أبريل 1948، أي في أعقاب قيام الوثبة الوطنية التي أطاحت بمعاهدة بورتسموث وحكومة صالح جبر في كانون الثاني/يناير 1948. وقد ساعد على منحهم الامتياز المرحوم الأستاذ نصرت الفارسي بوصفه وزيراً للداخلية آنذاك. وقد صدرت الجريدة بالفعل وكانت غنية بمواضيعها ومقالاتها وتعليقاتها وأخبارها الخارجية والداخلية. ولكنها رغم اتزانها واعتدالها وحرصها على صيانة كيانها لقيت أشد المقاومة من لدن العناصر الرجعية الحاقدة، الحاكمة منها وغير الحاكمة، حتى أن البعض من تلك العناصر قد اعتبرها نسخة عربية لجريدة (دوءار هايوم) اليهودية التي كانت تصدر في تل أبيب آنذاك، بدعوى أن كلمة (دوءآر هايوم) معناها (بريد اليوم)! بل أن رئيس تحريرها نفسه الذي كان من غير اليهود لم يكن لينجو من حقد وتحريض تلك العناصر من دعاة التفرقة بحيث أطلقت عليه لقب (الياهو...)! وذلك لمجرد أنه كان يعمل في جريدة أصحاب امتيازها صحفيون يهود!!

وقد اشتدت تلك المقاومة حتى بلغت ذروتها، عندما بادرت الحكومة إلى إلغاء امتياز تلك الجريدة فور إعلان الأحكام العرفية في العراق بمناسبة قيام الدول العربية بإعلان الحرب على إسرائيل في يوم الاستقلال (15 أيار/مايو 1948). ولم يكن ثمة سبب لإلغاء امتياز الجريدة سوى كون أصحابها وهيئة تحريرها من الصحفيين اليهود! ولم تكن حياتها لتتجاوز 28 يوماً فقط!

وعلى هذا النحو كان وضع الصحفيين اليهود في العراق يتدهور من سيء إلى أسوأ على مر الأيام.

صحفيون آخرون

وللحقيقة والتاريخ لابد لي أن اذكر في هذا البحث إن المرحوم الأستاذ يعقوب معلم نسيم (1880-1961) المربي الكبير بثقافته السياسية والفلسفية والأدبية والدينية الواسعة ومدير مدرسة منشي صالح (أكبر مدارس الطائفة اليهودية الابتدائية قاطبةً من حيث عدد طلابها) كان قد مارس الصحافة عملياً، إذ أصدر في سنة 1921 مجلة أسبوعية أدبية اجتماعية تاريخية باسم (يشورون) وكانت تصدر بالعبرية والعربية (المكتوبة بحروف عبرية ليفهمها عموم أبناء الطائفة اليهودية). وقد ساعده في ذلك الأستاذ صيون دريعي من معلمي الطائفة القادمين من الأرض المقدسة آنذاك. وقد ثابرت تلك المجلة على الصدور حوالي السنة. ولربما كانت مجلة (يشورون) هي الممهدة لإصدار مجلة (المصباح – هامينورا) لصاحبها الأستاذ المحامي سلمان شينا ومحررها (أبن السموءل) أنور شاؤل – صاحب الحاصد فيما بعد. وقد صدر أول عدد لمجلة المصباح في 10/4/1924 وواصلت الصدور مدى أربع سنوات. وكان الأستاذ شاؤل حداد قد أصدر في 17/11/1929 مجلة أسبوعية باسم (البرهان) ولكن صدورها لم يدم سوى مدة قصيرة جداً.

مسك الختام

ويحلو لي وأنا بصدد عرض هذه الجوانب من حياة الطائفة اليهودية ومنجزاتها الثقافية والأدبية والصحفية في العراق أن أجعل مسك الختام لهذا الملحق، انطباعاتي عن بعض من يمكن اعتبارهن من العنصر النسائي اليهودي في نطاق هذا البحث، فأذكر:

فهيمة ابراهيم - رائدة وباحثة اجتماعية

السيدة فهيمة ابراهيم حييم

من شقيقات السيدة ستيرينة، عقيلة الأستاذ أنور شاؤل، المربية الرائدة والباحثة الاجتماعية السيدة فهيمة إبراهيم حييم معلم نسيم وقد سبقت شقيقتها في الدعوة إلى تحرير المرأة العراقية من القيود الرجعية البالية ودخولها معترك الحياة العامة ومساهمتها مع الرجل في بناء مجتمع عصري متحرر. وكان ذلك في أواسط العشرينيات. فلنقدر لها إذن جرأتها وشجاعتها بالنسبة إلى ذلك الزمن في العراق بالذات! ولاسيما أنها قد ضربت بنفسها مثلاً حياً في هذا المضمار، عندما عُينت سنة 1924 معلمة للغة العربية في المدارس الرسمية، فكانت والحالة هذه أول فتاة يهودية تمارس التعليم في تلك المدارس. وقد ظلت في وظيفتها تلك مدى ست سنوات متواصلة (لغاية 1930) فذللت كل عقبة وقفت بوجهها وقاومت كل معارضة من جانب العناصر الرجعية، وساهمت في الحركة النسائية مع شقيقتها ستيرينة وعدد آخر من المثقفات العراقيات، يهوديات وغير يهوديات، مما مهد السبيل فيما بعد لانخراط العشرات من بنات الطائفة اليهودية في سلك التعليم وفي غير ذلك من ميادين العمل.

والسيدة فهيمة إبراهيم اليوم في إسرائيل باحثة اجتماعية مرموقة تقوم بدور فعال في ميدان العمل النقابي والاجتماعي.

الزميلة ماتيلدا يوسف داود

السيدة ماتيلدا يوسف

كانت تساعدني وتساهم معي في الكتابة إلى الحاصد إحدى قريباتي وهي السيدة ماتيلدا يوسف داود (عقيلة الإداري الفاضل السيد موشي كباي – وشقيقة الأستاذ نسيم يوسف داود مترجم (القرآن) و (ألف ليلة وليلة) إلى الانكليزية والمقيم الآن في لندن). وكانت زميلتي في الأدب والصحافة طيلة الثلاثينيات وهي الفتاة المتحررة ذات الثقافة الأدبية الواسعة والعقيدة التقدمية الديمقراطية والذكاء الوقاد. وكان لها مطالعات كثيرة في الأدب العالمي بوجهٍ عام والأدب والشعر الفرنسي بوجهٍ خاص. وكانت تزود الحاصد من حينٍ إلى آخر بأنباء وملاحظات عن التطورات الأدبية والاجتماعية في العالم، وقد ظلت طيلة الثلاثينيات على صلة بأشهر الصحف والمجلات والكتب الأدبية الفرنسية الصادرة آنذاك، بالإضافة إلى انهماكها وولعها بدراسة روائع الأدب الفرنسي، شعراً ونثراً وكان ذلك نتيجة طبيعية لدراستها وتخرجها في مدرسة (لورا خضوري) – مدرسة الأليانس للبنات – فكانت بمثابة مرجع ومعين في هذا المضمار.

ولكن الكاتبة الأديبة ماتيلدا يوسف داود لم تقصر نشاطها الأدبي على الحاصد، بل كانت تزود الصحف العراقية اليومية وخاصة منها صحف الطريق والزمان والرأي العام، بدراسات ومقالات أدبية وأبحاث علمية وقصص طريفة موضوعة ومترجمة بتوقيعها أو بدون توقيعها. ومن ذلك مقال أدبي واجتماعي جريء نشرته لها بتوقيعها جريدة الطريق في عام 1935 دعت فيه إلى وجوب تحرر المرأة العراقية من جميع التقاليد البالية ومن سائر القيود الرجعية ودخولها إلى ميدان الحياة السياسية والاجتماعية ومعترك النضال اليومي ومشاركتها في جميع الأمور العامة، بما في ذلك الانتماء إلى الأحزاب والجمعيات والنقابات والصحافة والوظائف الرسمية والأهلية وممارسة مختلف المهن، باعتبار أن حرية المرأة العراقية جزء لا يتجزأ من حرية الشعب العراقي. وقد أثار ذلك المقال في حينه ضجة في المحافل الأدبية والاجتماعية، فانبرى للرد عليه في نفس الجريدة المرحوم الأديب

يوسف يعقوب مسكوني الذي استكثر عليها تلك الجرأة والشجاعة والروح التقدمية الوثابة ولكنها سرعان ما بادرت إلى الرد عليه رداً علمياً هادئاً مفندة ما جاء به من أفكار وآراء أثبتت ماتيلدا، استناداً إلى منطق طبيعة الأشياء كونها أفكاراً رجعية بالية لا تصلح للعصر الحديث. وأعربت في الوقت نفسه عن إيمانها بأن يصبح للمرأة العراقية شأنها ومكانتها في حياة البلاد في المستقبل، وأن تنال ما تصبو إليه من آمال وتطلعات وهذا ما تحقق بالفعل فيما بعد.

ومما هو جدير بالذكر أن الدكتور عبدالإله أحمد قد سجل في كتابه عن نشأة القصة في العراق، كوننا - أنا وماتيلدا يوسف داود - كاتبين من كتاب القصة العراقية خلال الثلاثينيات، كما تطرق إلى ذكر بعض ما كتبناه من قصص ومقالات أدبية وأسماء وتواريخ الصحف والمجلات التي نشرتها لنا.

الزميلة رني طويق

السيدة رني طويق

كانت لي عهدئذٍ زميلة أخرى من قريباتي أيضاً، وهي السيدة رني طويق (عقيلة الوجيه السيد الياهو شينا) التي كانت كاتبة أديبة متحررة ذات عقيدة ديمقراطية وتقدمية، شأنها في ذلك شأن ماتيلدا يوسف. وهي الشقيقة الكبرى للسيدة إيلانا بصري المحررة حالياً في الإذاعة الإسرائيلية، ومحررة برنامجَي (طبيب وراء المايكروفون) و (في موكب العلم) وتتوسطهما شقيقتهما مارسيل طويق التي لا تقل عنهما حباً وهواية للأدب والصحافة. وقد ساعدتني رني طويق وساهمت معي في تحرير المقالات والأخبار والتعليقات للصحف التي عملتُ فيها وذلك خلال الفترة من أواخر الثلاثينيات إلى منتصف الأربعينيات، وأخص بالذكر منها جريدة الزمان التي نشرت لزميلتي المذكورة عدداً من الافتتاحيات والمقالات في مواضيع سياسية واقتصادية واجتماعية. وذلك عدا البحوث الأدبية التي كانت تنشرها لها بعض المجلات، سواء بتوقيعها أو بدون توقيعها. وكانت هذه الكاتبة معلمة للغة العربية في مدارس العمارة الابتدائية الرسمية مدى خمسة أعوام. وقد أبت إلا أن تساهم في النهضة الفكرية، بقدر ما أتيح لها أن تساهم، إلى جانب ممارستها لأقدس مهنة وهي التعليم، بكل ما أوتيت من روح العزيمة والحرص والتفاني والإخلاص. وكان نشاطها التربوي والأدبي والاجتماعي في مدينة محافظة كالعمارة موضع تقدير وإعجاب لدى الكثيرين من معارفها ومتتبعي جهودها الفكرية.

كلمـة لابـد منهـا

كتبت هذا البحث استناداً إلى ما أسعفتني به الذاكرة من ذكريات وخواطر استوحيتها من مواكبتي ومعايشتي للحاصد طيلة مراحل حياتها الحافلة ومساهمتي شخصياً فيها، وقد تعذر عليّ الحصول على أي مصدر لهذا البحث لولا المساعدة القيمة المشكورة التي أسداها لي صاحب الحاصد نفسه، الأستاذ أنور شاؤل، في هذا الصدد، عن طريق تزويده لي ببعض قصائده مع بعض المقتبسات التي احتفظ بها من مقالات الحاصد المأثورة، بالإضافة إلى معلومات أخرى كان من شأنها تلافي جانب غير قليل من نواقص هذا البحث.

كما أتقدم بجزيل شكري وامتناني إلى أخواني الأدباء والكتاب الذين أمدوني بما طلبته من معلومات عن سيرة حياتهم وجهودهم في ميدان الأدب والفكر والصحافـة، مما سـاعدني كثيراً على التوسع في هذا البحث خدمةً للحقيقة والتاريخ.

ومع كل ذلك فإنني لم استطع إيفاء هذا البحث حقه كاملاً من حيث عدم استيعابه لجميع المعلومات والمستندات المطلوبة له والمصادر التي كان يجب أن تتوفر لي في سبيل انجازه على أكمل وجه مستطاع. فأرجو معذرة القراء.

وختاماً ولهذه الأسباب اعتذر إلى كل من لم استطع أن اكتب عنه بما فيه الكفاية، وكذلك إلى كل من فاتني الكتابة عنه أو التطرق إلى جهوده الأدبية والفكرية. هذا مع الإشارة إلى أنني قد نحوت في كتابة هذا البحث نحواً أقرب إلى الأدب والأسلوب الصحفي منه إلى البحث العلمي والتاريخي البحت، كما أنني قد ضمنته في بعض الحالات انطباعاتي الخاصة عن أحداث معينة وأشخاص معينين، لأنني حاولت بذلك أن أجرب الكتابة عن هذا الجانب من تاريخنا الأدبي بأسلوب كهذا لاعتقادي بأنه يكون أكثر من غيره تشويقاً للقارئ الكريم إلى مطالعة هذا البحث بدون أي ملل، وباعتبار أن أي بحث أدبي ولو كان تاريخياً يجب أن يُكتب بطريقة أدبية.

وجل هدفي وأملي في هذا البحث أن يكون مجرد محاولة بسيطة لمساعدة الأجيال المقبلة من المؤرخين والأدباء على كتابة تاريخ أدبي كامل للفترة موضوعة البحث في العراق على الوجه الشامل الذي يفي بالغرض المطلوب ويشفي غليل الباحثين والدارسين.

للحقيقة والتاريخ - الحاخام ساسون خضوري رحمه الله

يقول مثل فرنسي: انك إذا أردت تغيير السياسة فعليك أن تغيّر وجوهها.. وهذا المثل المأثور الذي برهنت على صحته الوقائع التاريخية في العالم هو اكثر ما يكون انطباقاً على ما حدث لطائفتنا في العراق وما اصابها من محن ونكبات من جهة، وما احرزته من حقوق ومكاسب من جهةٍ أخرى.

الحاخام ساسون خضوري

وبما أن رئيس طائفتنا الخالد الذكر الراب الجليل ساسون خضوري طيّب الله ثراه، الذي ظل رئيساً للطائفة مدى ستين عاماً، كان وجها ناصعاً لها، معبراً عن تطلعها إلى اطراد التقدم والازدهار، فقد كان على اولئك الذين بيّتوا الشر لطائفتنا وارادوا الايقاع بها حسداً وحقداً، أن يبادروا قبل كل شيء إلى تغيير ذلك الوجه الناصع، فشجعوا إثارة الفتن وحرضوا على الكيد والدس في داخل صفوف الطائفة ذاتها لمضايقة رئيسها المرحوم بكل وسيلة ممكنة وحمله على التنّحي عن منصبه الديني والمدني الرفيع كي يخلوا أمامهم الجو لوضع العراقيل والصعاب في طريق طائفتنا من دون أن يكون هناك من يستطيع أن يتصدى لهم أو يردعهم عن مراميهم ونياتهم السيئة، على نحو ما كان يقوم به رئيس الطائفة الطيب الذكر كلما لاح في الأفق السياسي ما ينبىء بخطرٍ ما، أو كلما جرت الأمور غير مجراها الطبيعي بالنسبة إلى طائفتنا.

وما أن كاد المرحوم الحاخام ساسون خضوري يتنحى أو يُنحّى عن منصبه عام 1950 حتى أخذت تتراكم المصائب وتنهال النكبات على طائفتنا من كل حدب وصوب فاستفحلت مشاكلها وأصبح من المستحيل عليها والحالة تلك أن تواصل حياتها الطبيعية بعد ذلك، إلى أن كان ما كان من

أحداث في غاية الخطورة انتهت بتهافت جماهير طائفتنا على طلب إسقاط جنسيتها العراقية والهجرة الجماعية من العراق وتجميد أموالها بعد تلك المحنة القاسية.

وبعد أن نالت السلطة القائمة مأربها واستغلت تلك الأحداث شر استغلال لغير صالح الأكثرية الساحقة من أبناء طائفتنا من جميع الوجوه وحلّ الهدوء النسبي محل تلك العواصف الشعواء، أرادت السلطات المسؤولة أن تسلك سياسة جديدة بالنسبة إلى من بقي في العراق من أبناء طائفتنا وكان عددهم آنذاك يقدر بخمسة آلاف شخص تقريباً، فمهدت السبيل لإعادة المرحوم الراب ساسون خضوري إلى منصبه وكأنها بذلك قد أرادت التكفير عن اساءآتها إلى الطائفة في عهد لم يكن سماحة الرئيس على رأسها. فلم تلبث الامور أن عادت إلى الاستقرار والهدوء واصبح الباقون من المواطنين اليهود في العراق ينعمون برخاء نسبي ويستأنفون مسيرتهم المطردة نحو التقدم والازدهار من جديد، والمرحوم الحاخام ساسون خضوري على رأسهم يرعى حقوقهم ويحرس مصالحهم.

ويكفي المرحوم رئيس طائفتنا فخراً انه استطاع أن يحقق لأبناء طائفته اكبر وأهم مكسب ثقافي وهو ضمان قبول جميع الطلاب اليهود من خريجي الدراسة الثانوية في كليات الجامعة العراقية على اختلافها، بدون أي قيد أو شرط وذلك بمجرد مقابلته لهذا الغرض للمرحوم الزعيم عبد الكريم قاسم قائد ثورة 14 تموز 1958. وقد أصبح ذلك المكسب الثقافي العظيم قاعدة تقليدية لم تنحرف عنها الحكومات المتوالية في العراق – إلا خلال سنتي 1967 و 1968 فقط، وذلك في أعقاب حرب الأيام الستة. ولا يزال طلاب البقية الباقية القليلة من أبناء طائفتنا في العراق يقبلون في الكليات العراقية سنوياً من دون أي مانع أو عائق.

ويكفي المرحوم الراب ساسون خضوري فخراً أن يكون قد استطاع بفضل حكمته وبُعد نظره وذكائه وايجابيته وتجاربه الطويلة ضمان اطلاق سراح 180 مواطناً يهودياً دفعة واحدة كانوا قد اعتقلوا بالجملة خلال حرب الأيام الستة بين عشية وضحاها، وقد أُطلق سراحهم بعد أن كانوا جميعهم عرضةً للقتل والاعدام بالجملة...

إذن فقد كان المرحوم رئيس طائفتنا المحنك يمثل الوجه الناصع لأمجاد اليهود في العراق، بل كان وجوده عاملاً فعالاً لاطراد تقدم طائفتنا إلى الأمام في مختلف العهود ودفع كل شر أو إساءة عنها بجميع الطرق الاصولية الممكنة.

هذا ما يتذكره للمرحوم الحاخام ساسون خضوري كل مواطن يهودي مخلص عاش تلك الفترة الطويلة في العراق، ولا ينكر عليه أياديه البيضاء ومواقفه المجيدة سوى أفراد قلائل ساءهم أن تعيش طائفتنا عهد تقدم ورخاء أو أن تكسب أي حق من حقوقها القانونية والدستورية بمجرد وجود الحاخام ساسون خضوري على رأسها....

6/1/1984

كتاب ("بعيد... وقريب") للأستاذ عزت معلم والعبـرة البالغـة من أحداثـه وتجاربـه وأقاصيصـه للأجيـال المتعاقبـة

كيف يجب أن تكتب الأوتوبيوغرافيا "أي السيرة الشخصية للكاتب ذاته" إذا كان المطلوب أن تبتعد عن المصالح الفردية والأهواء الذاتية وتؤدي إلى تحقيق الغاية الأساسية من كتابتها وهي خدمة الصالح العام بعرض الحقائق والأحداث والتجارب التي مرت بكاتبها خلال حقبة من حياته، مع ما يحتوي عليه كل ذلك من عبرة بالغة للأجيال المتعاقبة؟

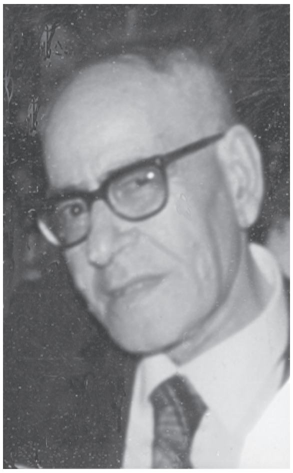

عزت معلم

وهل من قواعد واصول معينة للكتابات الأوتوبيوغرافية ليس من حيث ما تُصاغ به من اسلوب فني دقيق ومضمون أدبي أخاذ فحسب، بل من حيث ارتفاعها أيضاً فوق مستوى الأدب التجاري الرخيص الذي أخذ خلال السنين الأخيرة يسيطر على الكثير من الكتابات الأوتوبيوغرافية الرائجة في أسواق العالم المختلفة ليس بناءً على قيمتها الأدبية والفنية - وهي خالية منها كلياً - بل بالنظر إلى ما تشتمل عليه من أحداث مثيرة وتصرفات شاذة لغرض استهواء القراء ليس إلا ... مع ما في ذلك من إفساد للأذواق وخروج على أبسط المبادىء الخلقية والقيم الإنسانية الرفيعة؟

وهل اننا إذا أخذنا بقواعد وأصول معينة للكتابات البيوغرافية في سبيل الحفاظ على المستوى المطلوب لهذا النوع من الكتابات - أدبياً وفنياً وتاريخياً - لا نكون قد أجزنا الانتقاص من حرية الكاتب وحقه الطبيعي في أن يكتب ما يشاء بوحي من ضميره وماضيه وفكره وعاطفته من دون أي تدخل في نوعية كتاباته؟

في الحقيقة انه ليس هناك قواعد واصول ثابتة لهذا النوع من الكتابات بل ان هناك مبادىء أساسية يمكن استخلاصها مما نادى به كبار مفكري العالم وفلاسفته، قديماً وحديثاً، في هذا المضمار الحيوي الذي يعتبر في الواقع ركناً أدبياً، إن لم نقل أدباً قائماً بذاته له أهميته الاجتماعية والتاريخية معاً، كما ان له رسالته الانسانية التي تخدم كل الناس في كل زمان وكل مكان. فقد اتفق الكثيرون من أولئك المفكرين والفلاسفة على اعتبار هذا النوع من الكتابات وجهاً معيناً من وجوه التاريخ، وصفه بعضهم بأنه داخلي وقال عنه آخرون انه وجه شخصي وبيتي للتاريخ. وهناك من ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك إذ اعتبر جميع الروائيين والفلاسفة مجرد كُتاب أوتوبيوغرافيا، لأن كتابات كل منهم لا تخلو من تسجيل اعترافاته وسرد ذكرياته وعرض أفكاره وخواطره.. مما يصلح أن يكون مصدر وحي والهام للآخرين، اقتداءً بسيرته المستقيمة في الحياة. وهناك من رأى في الأوتوبيوغرافيا الوسيلة الوحيدة التي ما من وسيلة أخرى سواها لرواية الحقيقة مما يهم الأجيال المتعاقبة سواء كان بصورة مباشرة أو غير مباشرة بما في ذلك من بحث في مشاكل العصر وظروفه وأوضاعـه وطـرق حياتـه وقضايـاه ومصالحـه وتطلعات مجتمعـه إلى الخير والتقدم.

وفي ضوء هذه المبادىء والمفاهيم يتيسر لنا تحليل ما تضمنه كتاب "بعيد.. وقريب" للاستاذ عزت معلم، وهو الكتاب الثاني الذي يصدر في اسرائيل للمؤلف الفاضل. وكان الكتاب الأول بعنوان "على ضفاف الفرات". وفي كلا الكتابين اللذين ساعد الأديب المعروف الاستاذ نير شوحيط على الهامهما بروح أدبية فياضة. يروي المؤلف جانباً كبيراً من الأحداث والتجارب والقصص والأشعار الفولكلورية العراقية التي مر بها ومرت عليه خلال سبعين عاماً من حياته الحافلة بالنشاط والحركة في ميادين حياة العراق الاقتصادية والتجارية والصناعية، وخاصةً ما يتعلق من ذلك بمناطق الفرات الأوسط التي نشأ فيها المؤلف وبذل مع لفيف من اخوانه شطراً كبيراً من جهوده للمساهمة في اعمارها وتقدمها وازدهارها ورفع مستواها المعاشي كواجب أساسي من واجباته الوطنية المقدسة. والحقيقة انه ليس من الضروري أن يكون الكاتب أديباً مرموقاً كي يقدم على كتابة البيوغرافيا فإن هذا الصنف من الكتابات يشمل مختلف ذوي المهن من تجار ومهندسين وعلماء وأطباء ومحامين وغيرهم من المثقفين بما فيهم ربات البيوت وقد يتوقف هؤلاء واولئك في كتابة سيرتهم على كثيرين من الأدباء أنفسهم كما انه ليس من المهم أن يكون الحدث "كبيراً" أو "صغيراً" وإنما المهم أن ينطوي على العبرة اللازمة من تسجيله..

ولسنا الآن بصدد عرض ما تضمنته الذكريات والحكايات الواردة في كتاب "بعيد.. وقريب" فإننا نترك ذلك لمطالعة القارئ الكريم ليستمتع بالوقوف على كل ما جاء في تلك الأحداث من طريف وشائق إلى جانب العبرة من روايتها وعرض الذكريات المتعلقة بها. وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه هذا انه أضاف عليه فصولاً من العادات والتقاليد عند اليهود وعند المسلمين وروى حكايات وأساطير سمعها من الأقارب والمعارف والأصحاب. وأضاف اشعاراً كتبها باللهجة البدوية الفراتية التي نشأ عليها وأحبها ولا يزال يرددها ويطرب لسماعها وانشادها. كما تحدث في الكتاب عن بعض الشخصيات التي كانت لفعالياتها آثارها العميقة في العراق عامةً وفي منطقة الفرات خاصةً.

ومن ذلك يتضح جلياً مدى تطابق مضمون الكتاب مع المبادئ المتفق عليها للكتابات البيوغرافية كي تحقق غايتها وتؤدي رسالتها وهي خدمة الحقيقة والتاريخ بكل أمانة واخلاص. وقد كان من الطبيعي ان يبدأ المؤلف كتابه هذا بالحديث عن نشأته وطفولته ويتطرق إلى ماضي حياته في العراق من حيث ما قام به من أعمال وما بذله من جهود، مع سرد أغلب ما يتعلق بتلك الفترة من حياته من ذكريات وخواطر عما مر به من التجارب وعما اجتازه من صعوبات، وكان آخرها تضييق الخناق على طائفته وفرض مختلف القيود على حريتها ونشاطها بل على حقها الطبيعي المشروع في أن تحيا حياة حرة كريمة تليق بالانسان المعاصر، مما حدا بالمؤلف في آخر الأمر إلى مهاجرة تلك البلاد والقدوم إلى اسرائيل بعد أن اصبحت حياته هناك جحيماً لا يطاق من حيث ما لحق به من ظلم واضطهاد.. لا لذنب جناه هو وأخوانه المواطنون سوى كونهم من أبناء الطائفة اليهودية.. وهكذا كان النكران هو الجزاء النهائي لخدماتهم المتواصلة لذلك البلد الذي أحبوه حباً جماً وأخلصوا له كل الاخلاص واعتبروا أنفسهم جزءاً لا يتجزأ من شعبه ولفيفاً من مواطنيه.

أليس في ذلك إذن ضرب من الظلم الصارخ والاجحاف المتناهي بحق أُناس أبرياء صودرت ممتلكاتهم وسُلبت حقوقهم وانتهكت حرياتهم وكبتت أصواتهم؟ أليس في كل ذلك ما يستحق أن يُسجل ويُنشر – من البداية إلى النهاية – خدمةً للحقيقة والتاريخ؟ الواقع ان الأستاذ عزت ساسون معلم قد استطاع ببراعة اسلوبه ألا يعرض فقط جميع تلك الحقائق بخيرها وشرها، بل ان يُمكّن القارئ في ذات الوقت من استخلاص العبر اللازمة من تلك الأحداث.

وهذه هي إحدى الغايات الأساسية للكتابات الأوتوبيوغرافية ذات المستوى الفكري والاجتماعي الرفيع والطابع الإنساني العميق في هذا العصر. وقد توصل المؤلف الكريم إلى تحقيقها بكتابة هذا الذي يستحق أن يكون مرجعاً تاريخياً لأحداث الفترة التي تناولها بالبحث، بالاضافة إلى اهميته القصصية والاجتماعية التي تحتاج اليها جميع أنواع الكتابات الأوتوبيوغرافية على الدوام.

أشعار انسانية ... في خدمة الحقيقة والتاريخ

من قصائد الليل الطويل في شعر الاستاذ أنور شاؤل

كيف كانت نهاية (قصر النهاية) في بغداد؟

كان من أواخر قصائد الشاعر الكبير الأستاذ أنور شاؤل في العراق، قصيدة (قصر النهاية) التي نظمها في شباط (فبراير) 1969، وقد وردت ضمن قصائد باب (من أشعار الليل الطويل) الذي يؤلف القسم الثالث من ديوانه (وبزغ فجرٌ جديد)، وهو الديوان الذي فاز بجائزة رئيس الوزراء الأولى للأدب العربي في اسرائيل لعام 1984. فما هو قصر النهاية هذا وما هي قصته التي حملت الشاعر على نظم هذه القصيدة عنها؟ وما هو مغزى الموضوع برمته والدروس المستخلصة منه وعلاقته بالشعر والأدب، ومدلولات القصيدة نفسها بالنسبة إلى الأجيال المتعاقبة؟ وكيف تحول القصر ذاته من قلعة للطغيان في بادئ الأمر إلى مقبرة للاستبداد لم تلبث أن تحولت بدورها الى مقبرة للحرية وبعد ذلك إلى منتزه عام في نهاية المطاف؟

قبل الاجابة عن هذه التساؤلات لابد لنا من الاشارة إلى أن اشعار الليل الطويل تتناول فترة السنوات العشرين الأخيرة من وجود الشاعر في العراق، ابتداءً من عام 1951، وهو العام الذي تمّت فيه هجرة اليهود الجماعية من العراق، وانتهاءً بعام 1971، وهو العام الذي نزح فيه الشاعر عن تلك البلاد قادماً إلى اسرائيل. وكانت اولى هذه القصائد قصيدة (بجوار الموقد) ذات الروعة الأدبية والشعرية البالغة بمعانيها ومفاهيمها الواسعة، مضموناً ومغزىً، وآخرها قصيدة (إلى الكرمة الذابلة) التي تميزت بلهجتها الحزينة ولكنها لا تلبث أن تنتهي بالرجاء والأمل بأن تتغير الحال وتعود (الكرمة) إلى نضارتها وروائها وازدهارها...

والواقع أن جميع قصائد هذا الباب من ديوان الأستاذ انور شاؤل لا تخلو من هذا الاتجاه ولا تنحرف عن هذا النهج، من الكآبة المصحوبة بالأسف والألم مع وجود أشعة ضئيلة من ضياء يحاول

الشاعر أن يتلمسها ويريد ادخالها بكل وسيلة ممكنة إلى قلبه الانساني الكبير عساه يستطيع الاستنارة بها في طريقه التي اظلمت مسالكها فجأةً وفي ظل آماله التي تهدمت صروحها في غفلة من الزمن... فالليل الطويل إذن هو تسمية رمزية لتلك الفترة الكئيبة التي بلغت عشرين عاماً كاملة. وبذلك يكون الشاعر قد وضع أشعار ليله الطويل بانسانيتها العميقة وروعتها البالغة، في خدمة الحقيقة والتاريخ بدافع من اخلاصه الصميم لهما، ايماناً وعملاً. وهنا تكمن اهميتها الخاصة ومكانتها المرموقة لدى الباحثين والمؤرخين لأنهم يستطيعون أن يستضيئوا بها في دراساتهم ومراجعاتهم.

وإذا كانت جميع العهود التي مرت بالعراق تقريباً فترات كئيبة لمختلف الأسباب، فإن فترة 1951-1971 كانت اكثرها كآبةً وأثقلها وطأةً، باستثناء الفترة القصيرة نسبياً من العهد الجمهوري الزاهر بقيادة الزعيم الوطني الحر وابن الشعب البار اللواء عبد الكريم قاسم بطل ثورة 14 تموز 1958 الذي كان مصرعه المأساوي الرهيب بداية لعهد من الارهاب الفاشي الذي لا حدود له ولا قيود ... وتحت كابوس ذلك الارهاب نظم الأستاذ انور شاؤل قصيدته (قصر النهاية) التي كان وراء كل بيت من ابياتها حكايات وحكايات من مآسي الظلم والتعسف بما انطوت عليه تلك المآسي من أحاديث وأحداث أليمة. وإذا كانت القصيدة كلها قد صيغت بصيغة أسئلة من بدايتها إلى منتهاها عدا بيتاً واحداً منها، فإن علامة السؤال الذي اختتم بها كل بيت كانت في الواقع جواباً صارماً لما تساءل عنه الشاعر، أي ان السؤال في هذا الصدد كان يتضمن معنى الجواب في آن واحد .. وبهذا المقياس جاءت القصيدة بالنسبة إلى الظروف القاسية التي سادت العراق آنذاك، ذات خطورة بالغة رغم ما تتصف به من بساطة متناهية وإيجاز ملحوظ ... إذن فالقصيدة جديرة بكامل العناية والاهتمام والدراسة الدقيقة ليس لاسلوبها ولمضمونها فحسب بل لمدلولها أيضاً بالنسبة إلى تلك الظروف، مما نحاول تحليله في هذا البحث على قدر ما يتسع المجال.

وإذا كان موضوع قصر النهاية هذا قد استأثر باهتمام شاعرنا الملهم فمعنى ذلك انه كسواه من الشعراء والمفكرين الأحرار – على قلتهم في العراق آنذاك – كان شديد الهم والقلق لما يمكن أن يؤول إليه بالشعب والبلاد، ذلك الظلم الذي كان يرمز له مجرد وجود قصر النهاية في الحارثية التي كانت من أجمل ضواحي بغداد، مثلما كان عليه سجن الباستيل الرهيب الذي كان يربض في قلب باريس قبل أن تدكّ صروحه ثورة 14 تموز الفرنسية الخالدة...

فمن المناسب إذن، قبل التطرق إلى مضمون هذه القصيدة أن نوجز تاريخ هذا القصر الذي سُميّ (قصر النهاية)، فنقول انه بوشر في تشييده لسكنى العائلة المالكة في عهد المرحوم الملك غازي الذي كان يتطلع إلى أبهة القصور الشاهقة والاكثار منها، على النقيض تماماً من والده المرحوم الملك فيصل الأول الذي كان محباً للديمقراطية والبساطة والتواضع وكان مقر سكنى العائلة المالكة في عهده قصراً بسيطاً يقع في نهاية أحد شوارع بغداد على مقربة من ضفاف نهر دجلة الجميل ... وكان اسم قصر النهاية خلال العهد الملكي هو (قصر الرحاب) وقد أمعن الأمير عبد الاله وصي العرش ثم ولي العهد في توسيعه وتحصينه والاستزادة من تفخيمه، تحدياً منه لإرادة الشعب العراقي الذي ضاق ذرعاً بذلك الحكم الغاشم لعبد الاله والفئة التي استعان بها لممارسة الحكم بشكل ديكتاتوري مطلق، انتهاكاً لأبسط المبادئ الديمقراطية والاصول الدستورية وقواعد العدل والقانون. وقد كانت فاتحة أعمال ثورة 14 تموز 1958 المجيدة دكّ صروح قصر الرحاب على ساكنيه من أفراد العائلة المالكة وفي مقدمتهم عبد الاله باعتبار القصر مقراً للطغيان والطغاة. وهكذا تحول القصر إلى مقبرة للاستبداد والمستبدين وسرعان ما بوشر في تسميته بقصر النهاية، تيّمناً بنهاية عهد مضى وانقضى من الظلم والفساد هو العهد الملكي، وبدء عهد جديد من التقدم والازدهار والحرية والديمقراطية هو العهد الجمهوري.

غير ان المؤامرات العديدة المختلفة التي حيكت ضد العهد الجمهوري المزدهر بالحريات الديمقراطية والمساواة التامة بين جميع المواطنين وحقوق الانسان، ما لبثت أن طوّحت بذلك العهد فحلت محله فترة سوداء باسم (الوحدة والحرية والاشتراكية) لم يسبق لها مثيل في تاريخ العراق منذ عهد هولاكو من حيث ما سادها من قتل جماعي لأحرار البلاد من رجال الفكر والثقافة والصحافة الديمقراطية والأحزاب والنقابات وغيرهم. وقد زّج بمن لم يفتك به منهم على الفور، في قصر النهاية الذي تحول آنذاك إلى (مقبرة للحرية) بعد أن كان (مقبرة للاستبداد) مع ما شهدته تلك المقبرة الواسعة من ويلات التعذيب الوحشي وفق أحدث أساليب الارهاب ووسائل التنكيل. وقد ظل عليه الحال كذلك بل وازداد بشاعةً على مرّ الأيام، وعُلق على أعواد المشانق في الساحات العامة العشرات من المواطنين الأبرياء، عندما نظم الأستاذ أنور شاؤل قصيدته الموضوعة البحث، أي في شباط 1969، وقد أُضيف إلى المعتقلين في القصر من الأحرار والديمقراطيين والقوميين الشرفاء عدد غير قليل من المواطنين اليهود الأبرياء أُعدم العديد منهم في العلن والخفاء. ونادراً ما كان أي منهم يخرج حيّاً بعد أن عومل تلك المعاملة البربرية.

وكان بين أولئك الناجين الشقيقان ساسون ومئير عبدة اللذان كانا يعملان وسيطين في بيع وشراء الأملاك وقاسى كلاهما الأمرين من ألوان التعذيب وقد حُكم عليهما بالاعدام في بادئ الأمر ظلماً وعدواناً ولم ينجوا من الموت إلا بأعجوبة.

وكان هناك الأستاذ شاؤل نجل الراب الوقور الحاخام ساسون خضوري الذي كان رئيساً للطائفة اليهودية آنذاك، ولم يُعتقل الأستاذ شاؤل إلا تحدياً واستفزازاً لوالده ومقامه وشيخوخته لقاء خدماته الطويلة المتواصلة للطائفة مدى سبعين عاماً كاملة ... أما عن الآخرين الذين لقوا مصرعهم في قصر النهاية فحدث ولا حرج.

وبهذا الصدد يتذكر كاتب هذه السطور ما كان قد قاله له أحد معارفه من المثقفين العراقيين الذي نجا من الموت في ذلك المعتقل فقد ذكر انه ارتكب "ذنباً فظيعاً" لم يكن في إمكان الحاكمين بأمرهم أن يغتفروه له وهو انه كتب مقالاً في إحدى صحفهم المؤممة يدعو فيه إلى إقامة جبهة وطنية موحدة في العراق فزّج به في غياهب القصر ليس لمجرد دعوته هذه بل لأنه سبق الحاكمين في نشر مثل هذه الدعوة التي اعلنوها بعد فترة قصيرة من اعتقاله، وكان هذا هو السبب الحقيقي "لجريمته" فهو إذن مذنب في نظرهم، ولكن ما هو ذنب اليهود الأبرياء الذين لم يكن أحد منهم آنذاك "يعمل في السياسة" أو يشتغل في القضايا العامة سواء عن طريق الصحافة أو المنظمات الشعبية أو غيرها؟

ولكن ذلك الوضع كان يجب أن يقف عند حده بالنسبة إلى قصر النهاية. وقد كانت النهاية بمثابة اعجوبة من السماء إذا أخذنا بنظر الاعتبار انها تحققت على أيدي الحاكمين أنفسهم وليس غيرهم، وذلك ان من عينوه مديراً عاماً للأمن ويدعى ناظم كزار قد طغى وبغى متجاوزاً كل حد من الحدود ومنتهكاً تعليمات رؤسائه أنفسم لاتيان ما هو اشنع واسوأ بكثير مما نصت عليه تلك الأنظمة والتعليمات. فكان يجب والحالة هذه المبادرة إلى إيقافه عند حده ووضع حد لإجرامه وعدوانه بحق جميع المواطنين. فعُزل من منصبه ولاقى اسوأ مصير كان يمكن أن يلقاه أي أحد على يده الغادرة، فتم اعدامه بعد أن طُبقت عليه وسائله التعذيبية التي كان قد جرّبها في غيره من

المواطنين ظلماً وعدواناً ... وهكذا أُسدل الستار على جرائم ناظم كزار وهُدم قصر النهاية هدماً نهائياً فتحول إلى منتزه عام، مع العلم ان الاجرام نفسه قد تواصل بشكل أو بآخر على أيدي الذين خلفوا ناظم كزار والذين قاموا بعزله...

وفي ضوء هذه الحقيقة الرهيبة نلمس الخطورة الخاصة لقصيدة (قصر النهاية) لمساً عملياً، فنرى ان الأستاذ انور شاؤل كان بهذه القصيدة هو الناطق الحقيقي بلسان أحرار العراق في تلك الفترة السوداء بكل أمانة واخلاص، مثله في ذلك مثل رجل الفكر الحر والشاعر الانساني الذي لا يسكت عن غبن أو أذى ولا يصبر على باطل أو إجحاف أو ضيم، بل يتحدى الظلم والظالمين بكل ما أوتي من شجاعة وإقدام، كما كان شأنه على الدوام منذ مطلع شبابه وفجر حياته الشعرية والأدبية والصحفية الحافلة، ناهيك عن وقفاته الجريئة في ساحات القضاء.

وقد كان مطلع القصيدة هو هذا البيت:

لأي قصد وغاية
سموك قصر النهاية؟

وبما أن الجواب عن هذا السؤال معروف وواضح لدى العراقيين قاطبةً، فإن الشاعر قد اكتفى بالسؤال ولم يجد حاجة لاعطاء الجواب، ولاسيما ان الاسم نفسه دليل على المسمى.

وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى سائر أبيات القصيدة، فقد تابع الشاعر يقول:

هل انتهى بك عهدٌ
أم كنت أنت البداية؟

فلا يلبث الشاعر أن يجيء بطريقته البليغة بهذا الجواب المتناهي في بساطته رداً على سؤاله الخطير بمضمونه فيقول جازماً:

في كـل يـوم حديـث

وكـل يـوم حكايـة!

ويختم قصيدته بسؤال لم يجب عنه بنفسه بل سرعان ما أجابت عنه الأحداث نفسها، وهو السؤال الوارد في هذا البيت:

أمـا لهـا من ختـام

فصـول هـذي الروايـة؟

فالختام الذي تكهن به الأستاذ الشاعر ضمن سؤاله، كان بتحويل قصر النهاية إلى منتزه عام (بارك) كما ذكرنا آنفاً، وذلك بعد مرور سنتين أو ثلاث سنوات فقط على نزوح الشاعر عن العراق وقدومه إلى اسرائيل، بعد أن طفح الكيل وبلغ السيل الزبا وأصبح وجود أي مواطن حر في أوائل السبعينيات في العراق، في حكم المستحيل، وخاصةً بعد أن أُبيدت عائلة يهودية برمتها هي عائلة (قشقوش)، وكان ذلك آخر جريمة لناظم كزار.

هذا وان العبرة من نهاية "قصر النهاية" تؤكد صحة الحكمة الخالدة القائلة ان الظلم إذا دام دمّر، وغالباً ما يدمر الظلم أصحابه أنفسهم عاجلاً أم آجلاً على نحو ما اثبتته أحداث عصرنا خاصةً وتجارب الانسانية على مدى تاريخها الطويل عامةً. وإذا كان مغزى قصيدة (قصر النهاية) يخص العراق، فإن هذا المغزى ينطبق بطبيعته على غير العراق أيضاً إذا كان من يحكم أي بلد يسلك سبيل الارهاب والتعسف ويغتصب من المواطن حريته الشخصية والعامة ويحاول السيطرة بوسائل القسر والعنف على اتجاهه في الحياة بل وعلى مجرى تفكيره الخاص بالذات. فهذه هي إذن نهاية (قصر النهاية) وهي نهاية كل من ينحرف عن سبيل النـزاهة والعدل والقانون من

الحاكمين في العالم أجمع. ولذلك رأى الشاعر ان من واجبه أن يكرس لهذا الموضوع هذه القصيدة الرائعة، إيماناً منه بالحق والعدالة والخير الإنساني العام، ولاسيما ان الموضـوع ذاته جدير بأن يسجل نظماً ونثراً كي يكون في ضمن العبر القيمة والدروس البليغة التي يرويها تاريخ الانسانية الأدبي والسياسي للأجيال المتعاقبة ....

ماذا حدث ... عندما أُريد

لزهور حديقتنا ورياحينها الذبول؟

كانت النتيجة الفورية المباشرة لقيام أول حكومة دكتاتورية في العراق، خلال العهد الملكي السابق – وهي الوزارة التي ألفها ياسين الهاشمي في اواسط الثلاثينات من هذا القرن - المبادرة الى حل الأحزاب، وتعطيل الصحف المعارضة، والحد من حرية التعبير، وتزييف الأنتخابات، وإلغاء النقابات وكل تنظيم آخر، ومنع المظاهرات وسائر الاجتماعات العامة، والقضاء على كل اثر للحريات الديمقراطية، وغير ذلك من الاجراءات التعسفية التي تم اتخاذها باسم توحيد الكلمة، وجمع الصفوف، والعمل القومي، وسواها من الشعارات المضللة، التي اتخذت في ذات الوقت ستارا للافراط في اعلان الاحكام العرفية، من حين الى آخر، لمكافحة الحركة الوطنية والاتجاهات الديمقراطية والاصلاحية، بالاضافة الى محاربة ثورات عشائر الفرات الاوسط التي ضاقت ذرعا بسياسة القمع والتعسف الحكومية آنذاك.

وقد بدا غريباً ان تضم تلك الحكومة الدكتاتورية في عضويتها، شخصيات كانت الى ذلك الحين، تتظاهر بالمحافظة على النظام الديمقراطي واحترام الدستور، كنوري السعيد مثلاً . ولكن سرعان ما زال العجب عند معرفة السبب، فقد اتضح ان النية كانت مبيّتة لتمشية بعض الاتفاقات التي لم تستطع الحكومات السابقة فرضها على الشعب العراقي، بناءً على معارضته الشديدة لها، عن طريق احزابه ومنظماته الحرة وصحفه المعارضة، لأنها كانت تهدف في جوهرها، الى توطيد النفوذ الاستعماري في البلاد، وتتعارض من حيث الأساس مع مصلحة الشعب العامة ومع أهداف قضيته الوطنية الكبرى.

وكان في مقدمة تلك الاتفاقات، اتفاقية السكك الحديد التي استطاعت وزارة الهاشمي تمشيتها بين عشية وضحاها، وسط موجة من الاجراءات القاسية التي اتخذت ضد الفئات الشعبية المعارضة، رغم ان ياسين الهاشمي نفسه، كان قد عارض مشروع تلك الاتفاقية، وندد به اشد التنديد، عندما كان زعيماً للمعارضة، وبذلك يكون قد افتضح زيف تلك المعارضة، بتبنّيه للاتفاقية ذاتها، متجاهلا كليا موقفه السابق منها. وكان من جملة الاجراءات التي اتخذت لتمشية الاتفاقية، مبادرة السلطة

القائمة، الى مصادرة اول عدد لصحيفة (البيان) الحرة التي اصدرها المرحوم الاستاذ حكمت سليمان، والتي فضح فيها أهداف تلك الاتفاقية، مفنّدا بنودها، بندا بندا. وقد اعقب مصادرة ذلك العدد من الصحيفة، تعطيل الصحيفة ذاتها في نفس اليوم. ومن المعلوم ان المرحوم حكمت سليمان قد ترأس فيما بعد اول حكومة شعبية جاء بها انقلاب تشرين الاول 1936 الذي أطاح بحكومة الهاشمي. وكانت مجلة الحاصد لصاحبها ورئيس تحريرها الشاعر المبتدع والأديب الكبير الأستاذ أنور شاؤل، في طليعة الصحف العراقية ترحيباً بالانقلاب وتأييداً لأهدافه الاصلاحية والشعبية الواسعة.

وكان من الطبيعي ان تقترن تلك التدابير الدكتاتورية لحكومة الهاشمي في مضمار حرية الرأي والعقيدة، بسياسة صارمة جرى تطبيقها في المجالات الاخرى، وهي سياسة التفرقة العنصرية والدينية التي كانت تهدف الى تمزيق صفوف الشعب وطعن وحدته الوطنية في الصميم. وقد شملت مظاهر تلك السياسة وزارة المعارف بصورة خاصة، حيث تحكمت في مقدرات تلك الوزارة، عناصر معروفة بميولها الفاشية والنازية، وبمناوأتها العنيفة للديمقراطية وحرية الفكر كفاضل الجمالي. وقد لقيت تلك العناصر تشجيعا متزايدا، ليس من جانب العاملين على خدمة المصالح النازية من اصحاب النفوذ فحسب، بل من قبل الاوساط البريطانية والموالين لها ايضا، فقد كان يبدو بكل جلاء ووضوح، ان هناك ما يشبه الاتفاق التام بين الاستعمار والفاشية في العراق، على تطبيق سياسة التفرقة العنصرية والدينية في جميع ميادين الحياة العامة، لصرف انظار الشعب العراقي عن قضيته الوطنية الاساسية، وعن اوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتردية، والحيلولة بينه وبين الفوز بأي تقدم او اصلاح، او تحرر من النفوذ الاجنبي والاقطاع السائر في ركابه.

وكان من مظاهر سياسة التفرقة تلك، تقنين او تقليص قبول الطلاب اليهود في المدارس الاعدادية الرسمية الى اقصى حد، وعدم قبول سوى عدد محدود جدا منهم في الكليات، الامر الذي كشف بوضوح، عن ان القبول في الكليات ومعاهد التعليم العالي، كان لا يجري على اساس الكفاءات والمواهب والدرجات، بل على اساس طائفي، لم يكن موضع شك لدى احد، وكأن الكفاءات والمواهب والدرجات هي آخر ما كان يجب التفكير فيه او الاستناد اليه في هذا الشأن.

وقد ذهب ضحية تلك السياسة، على مدى السنين المتعاقبة، المئات ان لم نقل الالوف من الطلاب اليهود الموهوبين الذين رفض قبولهم في الكليات، لمجرد كونهم يهودا، رغم درجاتهم العلمية العالية التي تؤهلهم للقبول، ليس في جميع الكليات على اختلاف اصنافها فحسب، بل للانتساب

ايضا الى البعثات العلمية التي كانت توفدها الحكومات العراقية الى الخارج سنويا، للتخصص في مختلف المواضيع، رغم ان عدد الذين تم قبولهم من الطلاب اليهود في الكليات والبعثات العلمية، قبل ذلك الحين، كان يعتبر قليلا جدا، بالنسبة الى كثرة الطلاب اليهود الأكفاء والمتفوقين الذين كان يؤهلهم مستواهم العلمي الرفيع لنيل هذا الحق. ومن المعلوم، ان حرمان الاغلبية الساحقة من الطلاب اليهود، من هذا الحق الطبيعي المشروع كان غبنا فاحشا، واساءة بالغة اصابت مصلحتهم ومستقبلهم في الصميم.

ورغم كل ذلك الظلم والتضييييق، اثبت طلابنا وجودهم، ولو بدون مساعدة مباشرة من الدولة في حالات كثيرة، فاستطاعوا بفضل مواهبهم وألمعيتهم وبجهودهم الخاصة ايضا، ان يشقوا طريقهم الى الحياة العامة، فكان منهم القضاة والمحامون، وكان منهم الادباء والصحفيون والشعراء والفنانون، وكان منهم الاطباء والمهندسون والتجار والموظفون، وكان منهم الخبراء وعلماء التربية والمعلمون، وغير هؤلاء واولئك من صفوة المثقفين الذين ساهموا جميعا مساهمة فعالة في بناء كيان الدولة العراقية، وتدعيم اسسها، وتقديم اصدق الخدمات اليها، ودعم تطلعاتها الى التقدم والنهوض بمنتهى التفاني والاخلاص، فكان لهم تراثهم المجيد في جميع هذه الميادين، ذلك التراث الذي يمتد الى تاريخ اليهود العراقيين الطويل، الحافل بالمآثر والامجاد، ذلك التراث الذي كان يؤلف بحد ذاته حضارة ثقافية زاهرة أعطت ثمارها للشعب العراقي بأسره، ولم تقتصر على الطائفة اليهودية وحدها.

وقد ظلت سياسة التفرقة العنصرية والدينية، هذه التي ذهب ضحيتها ايضاً فيما بعد، لفيف من طلاب بعض الاقليات الدينية والقومية الاخرى في العراق، ولو بدرجات اقل بكثير مما اصاب الطلاب اليهود، نقول ان تلك السياسة المجحفة، ظلت مستمرة الى اعوام طويلة اخرى، واشتد تفاقمها سنة بعد سنة. ولم تنته الا عندما تم القضاء النهائي الحاسم على العهد الملكي الفاسد ومظالمه بفضل ثورة 1958 الوطنية المجيدة، بقيادة ابن الشعب البار المرحوم الزعيم عبد الكريم قاسم، الذي آمن بالحرية والعدالة والمساواة والتقدم، بناء على انسانيته العميقة ونزعته الديمقراطية وثقافته الحرة وحبه واخلاصه للشعب واعتناقه لمبدأ التسامح الديني والسياسي والفكري بصورة غير محدودة، فنادى بحقوق الانسان، وقضى على جميع مظاهر التفرقة في العراق، وفتح ابواب جميع كليات الجمهورية العراقية الفتية على مصراعيها، امام جميع الطلاب، بدون استثناء، وفقا لمستواهم العلمي فقط، وليس استنادا الى أصلهم العنصري او الديني، او القومي، فكان ذلك

المكسب الثقافي العظيم، بمثابة نقطة تحول حاسمة، ومنطلقا ايجابيا، وفاتحة خير في حياة الطلاب اليهود ومستقبلهم، بناء على حرمانهم من هذا الحق المقدس، مدى سنوات طويلة، بالاضافة الى كون تلك الخطوة الجليلة جزءاً لا يتجزأ من المنجزات الاصلاحية الشاملة لحكومة الثورة، في سبيل دعم المصالح الحيوية للشعب والبلاد، تحقيقاً للنهوض الثقافي والاجتماعي المنشود، الامر الذي كان موضع ترحيب وتأييد ليس على الصعيد الوطني والقومي فحسب بل على الصعيد العالمي ايضاً، وخاصة ان الزعيم عبد الكريم قد اراد ان يجعل من الجمهورية العراقية دولة ديمقراطية حرة بمعنى الكلمة.

وقبل ان نتطرق الى تفصيل ذلك الحدث التاريخي المهم، نرى من المناسب ان نذكر في هذا الصدد، ان سياسة التفرقة العنصرية والدينية خلال العهد الملكي في العراق، لم يقتصر معناها على قبول عدد محدود جدا من الطلاب اليهود لا يكاد يتجاوز عدد اصابع اليدين في الكليات سنويا، بل اصبحت تلك السياسة التي بلغت ذروتها من الشر بعد قيام دولة اسرائيل، والتي كانت من العوامل المباشرة لهجرة المواطنين اليهود الجماعية من العراق عام 1951 أصبحت تلك السياسة، تعني بعد تلك الهجرة التي كانت بمثابة احتجاج جماعي على تلك التفرقة، غلق ابواب الكليات نهائيا، بوجه أي طالب يهودي كان، من ابناء طائفتنا، الذين لم يعد مجموعهم آنذاك ليتجاوز ال3,500 مواطن. وكانت الكلية الوحيدة التي ظلت مفتوحة امامهم، من عام 1951 الى عام 1958 – عام ثورة 14 تموز – هي جامعة الحكمة الاهلية، وكان القبول فيها يتم بأجور سنوية تعتبر عالية نسبيا، غير ان مواضيع الدراسة فيها، لم تكن لتتجاوز الهندسة المدنية وادارة الاعمال، فكل طالب يهودي انتمى اليها، كان يصبح مهندسا او مدير اعمال ليس الا، وهذا ما لم يحقق كامل التطلعات على اختلافها. ومع ذلك فقد تقبّل طلابنا وأولياؤهم هذه الحقيقة بصدر رحب كأمر واقع، لأنه لم يبق هناك أي مجال آخر للدراسة العالية، الا في الخارج على حساب الطلاب الخاص، وهذا ما لم يتوفر الا لعدد محدود جدا منهم، لان ذلك كان يستلزم مصروفات باهظة، لا قبل للأغلبية الساحقة من ابناء طائفتنا بها، وان لم يكن المال ليعتبر شيئاً مذكوراً اذا كان المطلوب صرفه على ثقافة طلابنا الأبرار.

ومع ذلك، ورغم جميع تلك المصاعب، فقد سافر الى الخارج، عدد غير قليل نسبياً، من طلابنا، ليتخصصوا في مختلف الحقول الثقافية والعلمية، وإن أدى مجرد سفرهم الى الخارج للدراسة على حسابهم الخاص او على حساب الطائفة احيانا، الى اسقاط الجنسية العراقية عنهم ظلما وعدوانا، وبذلك تكون السلطات الحاكمة في العراق آنذاك، قد حالت بينهم وبين العودة الى موطنهم،

ليساهموا في خدمته واعلاء شأنه وتحقيق نهضته ... ومما جدير بالذكر في هذا الصدد، انه لم يبق لنا في العراق آنذاك، سوى مدرستين من مجموع ما يقارب الخمسين مدرسة او أكثر، كانت موزعة في مختلف المدن والقرى العراقية. أما المدرستان الباقيتان فهما، مدرسة مناحيم دانيال الابتدائية، ومدرسة فرنك عيني المتوسطة التي كانت تستوعب بنايتها ثانوية شماش ايضا.

وعندما نتذكر الآن، بملء الفخر والاعتزاز، جهود معلمي ومعلمات المدرستين المذكورتين وادارتهما في تخريج أنجح الطلاب، يجب ان نتذكر ايضاً قول المرحوم مدحت باشا الذي كان والياً على العراق، في منتصف القرن الماضي خلال عهد الحكم العثماني، والذي قام بزيارة لأول مدرسة من مدارس الاليانس الاسرائيلية، انشئت آنذاك في بغداد، وكان مقرها في (كنيس زلخة) في بادئ الامر، فأعجب كل الاعجاب بنتائج امتحانات طلاب تلك المدرسة، فكتب في سجل المدرسة كلمته المأثورة، وهي (ان هذه الحديقة الغناء تثمر اجمل الزهور واطيب الرياحين) ... وكان للمرحوم مدحت باشا الفضل الاول في تحسين احوال المدرسة ثم انتقالها الى بنايتها العصرية المشهورة في الشورجة بدعوته الى التبرع لهذا الغرض.

وعندما كان يبدو وكأن زهور ورياحين طائفتنا، بعد مائة عام من ذلك التاريخ، اريد لها الذبول والزوال قبل ان تستكمل ازدهارها وروعتها، اذا بتلك الغيوم السوداء، تنقشع عن فجر جديد، لازدهار تلك الورود والرياحين ثانية، ذلك هو فجر يوم 14 تموز الخالد.

وما ان حلّ موعد تسجيل الطلاب للقبول في الكليات، حتى قدمت ادارة ثانوية شماش قائمة بأسماء خريجيها لقبولهم في الكليات، فتم قبول عدد منهم في بادئ الامر، ولم يلبثوا ان قبلوا جميعاً في ذلك العام، بعد ان قام رئيس طائفتنا المرحوم الحاخام ساسون خضورى، بزيارة للزعيم عبد الكريم قاسم في مقر قيادته لهذا الغرض، فتلقت طائفتنا تلك البادرة النبيلة، ببالغ الترحيب والارتياح، والامل الباسم بالمستقبل ... وقد واظبت حكومة الثورة طيلة السنوات المتعاقبة، على اتباع هذه الخطة، الى ان اصبحت تقليداً لم تعد تشذ عنه اية حكومة اخرى، جاءت بعد الاطاحة بحكومة المرحوم عبد الكريم قاسم، باستثناء حكومة واحدة في سنتي 1967 و 1968، فقد قرر طاهر يحيى رئيس الوزراء بعد حرب الايام الستة، عدم قبول أي طالب يهودي في الجامعة، وكان مجموع المتقدمين نحو 40 طالبا وطالبة، ولكن ذلك القرار الشاذ لم يتكرر ما يماثله، في اية سنة اخرى بعد ذلك. ولا يزال القبول جاريا الى الآن بالنسبة الى البقية القليلة الباقية من الطلاب اليهود في العراق، وذلك رغم جميع المظالم والاضطهادات والكوارث التي حلت بالطائفة، بعد الاطاحة

بحكومة الثورة ومنجزاتها الديمقراطية والتقدمية، على ايدي القوميين المتطرفين والبعثيين، بما في ذلك الغاؤهم للمرسوم الذي اصدره الزعيم عبد الكريم قاسم، والذي يقضي بالغاء اسقاط الجنسية العراقية عن المواطنين اليهود. وكان من النتائج المباشرة لجميع تلك المحن والنكبات المتلاحقة، بما فيها الاعتقالات بالجملة والاعدامات الجماعية، هروب او سفر الاكثرية الساحقة من الباقين من يهود العراق، بحيث انه لم يبق منهم هناك اكثر من 300 شخص على ابعد تقدير.

وليس لنا بعد كل هذا، الا ان نردد قول الشاعر:

قد كان ما كان مما لست أذكره   فظنّ خيراً ولا تسل عن الخبر

القصة العراقية بقلم صالح (نعيم) طويق

مقدمة

ألقى الاستاذ الفاضل مراد العماري كلمة في حفل التأبين الذي أجري للوالد الفقيد في شهر أيار 1989 بمناسبة مرور 30 يوما لوفاته، وفيما يلي مقتطفات من تلك الكلمة:

وقد اعترف –رحمه الله- بانصرافه عن الادب، والتصاقه بالصحافة في حديث أجراه معه البروفيسور شموئيل موريه ونشر في مجلة "الشرق" للاستاذ الدكتور محمود عباسي قبل عامين. اذ قال ان أول قصة له، نشرت في جريدة الاخاء الوطني...

والمؤلم هنا، ما يقوله الاخ نعيم في نفس الحديث معلنا انه لم يحتفظ باي نسخة من تلك القصص التي نشرها، كما ا نه لم يحتفظ باي عمل ادبي اخر في العراق، وبهذا اسقط في يد كل من يسعى لان يحيى تراث نعيم طويق الادبي في العراق.

"اما فترة كتاباتي الادبية في العراق فانها لم تتجاوز بضع سنوات فقط توقفت بعدها عن كل عمل ادبي الا في حالات متقطعة وذلك تحت ضغط ممارستي للعمل الصحفي المتواصل الذي بدأ عام 1934 وانتهى عام 1963.

وهكذا انطوت تاريخيا الفترة الادبية في حياة المرحوم نعيم طويق دون ان يبقى لها اثر يذكر، فكل ما كتب في هذا المجال اما مفقود او غير ميسور لانه لم يحتفظ لديه بأي نسخة مما كتب ونشر من قصص وبحوث ادبية.

وحدث حدث عجيب ليس بالامكان وصفه الا بانه إعجوبة الاقدار:

لحسن الحظ تعرفنا على الاستاذ الاديب الفاضل مازن لطيف وهو الصحافي العراقي الذي اتحفنا بكنز ثمين جدا. فأرسل لنا مشكورا قائمة القصص التي كتبها الوالد قبل ان يحترف الصحافة وهو تلميذ في سن المراهقة، وبذل المستحيل في الحصول على تصوير البعض من هذه القصص التي رأت

النور مرة اخرى بعد الاحتجاب عن النظر لمدة طويلة تقارب 80 عاما. وانه لمن دواعي سرورنا وابتهاجنا ان نرفق أدناه مضمون هذه التحفة النادرة، بعد ان امتلكنا اليأس من العثور على أي اثر من تلك الفترة الادبية.

فيا له من حظ سعيد ان يجمعنا مع مثل هذا العراقي الاريحي النبيل صانع الجميل، مازن لطيف، بارك الله فيه وكثّر من امثاله.

أبناء صالح (نعيم) طويق

فهرست القصة العراقية

نعيم طويق

إعداد الأستاذ مازن لطيف - بغداد 2010

1. البائسة _ الاخاء الوطني _ العدد 209 _ السنة 1_27 حزيران 1932
2. تأ وهات _ الاخاء الوطني _ العدد 210 _ السنة 1_ 28 حزيران 1932
3. أنين وبكاء _ الاخاء الوطني _ العدد 212 _ السنة 1_ 30 حزيران 1932
4. ثورة نفس _ الحاصد (م) _ العدد 37 _ السنة 4_ك 2 1933
5. حرمان _ الاهالي _ الاعداد 380، 381، 382، 383، 384 السنة 3 _ تموز 1934
6. في طي الخفاء _ الاهالي _ الاعداد 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 404، _ السنة 3 تموز، آب 1934 (104)
7. يأس _ الاهالي _ العددان 418 ،419 _ السنة 3_ آب ، أيلول 1934
8. بين الحقيقة والخيال _ العراق _ العدد 3581 _ السنة 14 _ 15 أيلول 1934
9. الندم _ العراق _ العدد 3581 _ السنة 14 _ 6ك 1 1934
10. المرأة _ المبدأ _ العد د 8 _ السنة 1_3 شباط 1935
11. حياته الجديدة _ الحاصد _ العدد 7 _ السنة 5 _ أب 1935
12. سر الرسالة الصفراء _ الحاصد _ العدد 11 _ السنة 6 _ تموز 1936

قصـة اليــوم

نشرت في الاخاء الوطني – العدد 209 – السنة 1 – 27/6/1932

البائسـة ..

.. ودقت الساعة الثانية عشر مؤذنة بانتصاف الليل ولم يكن أحد من سكان تلك المدينة الجميلة يسير في أي شارع من شوارعها لأن البرد القارس والمطر المتساقط دفعاهم إلى النوم على سررهم الدافئة..

في تلك الليلة كانت فتاة في شرخ الشباب طويلة القامة جميلة الوجه جالسة تفكر كأنها أضاعت شيئاً ثميناً لم تستطع أن تحتفظ به سالفاً. ثم قامت من موضعها وما سارت خطوة أو خطوتين في الغرفة إلا وسقطت على أرضها واهية القوى. وبعد قليل قامت من موضعها وقالت لنفسها:

- يالي من فتاة بائسة رمت بها الأقدار بين أحضان الحياة.

ثم تأوهت طويلاً وأخذت تبكي بكاءً مراً يذيب القلوب ويفتت الأكباد وهي تبكي فتح الباب بسرعة ودخل منه كهل يناهز الخمسين من عمره طويل القامة هزيل الجسم فقال مسلماً عليها:

السلام عليك يا ابنتي المحبوبة.. ماذا جرى لك ياحبيبتي.. تكلمي.. اجيبيني أنا الوالد المشفق عليك.. ابنتي.. ابنتي.. ماذا دهاك ياعزيزتي ويـلاه.. انها تتألـم كثيراً.. ابنتي العزيزة.. ابنتي.. ماذا تطلبين مني يا أعز ما أمتلك في هذه الحياة..

أبتاه.. أبتاه.. مهما كنت مشفقاً علي فإنك ستتناول سكيناً حاداً وتذبحني به إذا قصصت عليك قصتي أنا البائسة المنكوبة الحظ.. أبي.. الرحمة بي يا أبي. لا اشك انني سأموت بعدما أنتهي من سرد قصتي عليك.. آه.. من أرى؟.. من هو الواقف أمامي.. من هذا الخيال، من هذا الشبح.. ويلاه.. والدتي.. نعم والدتي.. الرحمة بي ياأيتها الروح الهائمة.. أبي.. أمي.. خففي عن حزني ياروح أمي.. بل هيئي لي مكاناً بجانبك.. أبي.. كم سيكون حزنك شديداً عندما ستشيع جنازتي إلى القبر. ستدفن أملك في ذلك المكان المظلم.. ستدفن في القبر ضحيتك البائسة التي جنى عليها رجل جناية فظيعة.. لست أهلاً لأعيش بجانبك ياأبي عيشة طيبة لا يكدرها علينا مكدر ولا ينقصها علينا منقص.. أبي.. ان قصتي تترك في نفسك البغضاء للرجال.. أأبقيها مكتومة في صدري.. كلا.. يجب علي أن أقصها عليك لأنها تريك سفالة رجل مجرم أثيم..

أحببت أحد الشبان الأغنياء بما لهم الفقراء بعزة أنفسهم وملت إليه أشد الميل ولكنه لم يكن ليحبني كما احببته لأنه بعد ما نال مني ما ابتغى هجرني ولم يعد يراني.

أليس مجرماً اثيماً ذلك الشاب.. أليس هو قليل الشرف؟ .. أليس وضيعاً سافلاً؟ نعم.. نعم.. ياأبي هذه هي صفات ذلك الشاب الذي رغم سلبه عرضي وشرفي غفرت له وعفوت عنه.. ولابد من الضمير ذلك المعذب الخفي يؤلمه بوخزاته الأليمة يوماً ما بعد مماتي فيأتي إليك ويطلب عفوك فأعف عنه يا أبي ولا تكن قاسياً.. أبتاه.. أبتاه.. عاد شبح والدتي.. نعم، نعم.. إنه واقف أمامي قائلاً لي:

تعالي يا ابنتي الوحيدة معي فقد هيأت لك مكاناً بجانبي.

لا تفكر بي يا أبي بعد مماتي فإنني أخاف عليك من مكروه يلحقك من جراء الحزن الشديد الذي سيتولى عليك آنئذ آه.. انني اتـو.ج.ع س.أموت.

نعيـم طويـق

قصة اليــوم

نشرت في الاخاء الوطني - العدد 210 - السنة 1 - 28/6/1932

تـأوهـــات

غابت الشمس واختفت عن الأنظار وأخذ الهواء يهب قليلاً والنسيم يلاعب أوراق الأشجار والسماء الصافية بلونها كانت تمثل ذلك الجمال الطبيعي العظيم.

هناك على شاطئ دجلة الجميل كانت الجموع محتشدة من كل جنب وصوب وهم يسيرون بهدوء وبطء ومعظمهم كان يصف لرفيقه ذلك الجمال الطبيعي بألطف الجمل وأرق العبارات وهم يكرون راجعين إلى بيوتهم بعد مضي ساعتين أو أكثر قضوها سائرين متنـزهين على ذلك الشاطئ الجميل.

نعم رجع هؤلاء إلى بيوتهم وارتموا على الفراش وشل اجفانهم النعاس، ولكن واحداً منهم بقي مضطجعاً على فراشه لا يغمض له جفن وبعد أن تنهد تنهدة طويلة خرجت من أعماق صدره قال:

- حبيبتي، من يخبرك عما يختلج في صدري؟ من يصف لك آلامي وأحزاني، من يقول لكِ ان لكِ قلباً خافقاً بين جنبين شاب تائه شريد؟ لاشك إنكِ ياحبيبتي تسمعين تنهداتي هذه. انني شاعر بما ينتابك من الآلام. أتشعرين أنتِ كما اشعر أنا التعيس بسعادته السعيد بتعاسته الحزين بسروره والمسرور بحزنه وكآبته. أحببتك من النظرة الأولى التي رمقتني بها لأنني رأيت فيك غايتي المنشودة. أكنتِ أنتِ كذلك ياترى؟

من يستطيع أن يلومني لحب زوجة وأم في نفس الوقت ظلمها البشر وقضوا عليها بأن تعيش بين حضان وحش ضار ورغم شدتك معها تطيعك أشد الطاعة وتخضع لك أعظم الخضوع أيها الزوج قاسي القلب.

أحبك ياحبيبتي لأني أشفق على قلبك الكبير وشبابك الضائع.. هم الآباء الذين جنوا عليك هذه الجناية الفظيعة ياحبيبتي. اننا مجتمعان بتباعدنا باجتماعنا وتأوهاتنا... أنت ماثلة الآن أمامي يا حبيبتي تخاطبيني بأرق العبارات كما تتصورينني أمامك أناجيك في وحدتي عما يكنه قلبي من لواعج الوجد والهيام والكره والبغضاء.. تعال أيها الموت وانزع روحينا الطائرتين من هذين الجسدين الهزيلين الفانيين..

علمني جمالك الباهر ياحبيبتي العطف على البائسين والشفقة بالمنكوبين والتعساء. أدخلني جمالك جنة الحب وعلمني هناك لذة الحياة ومرارتها...

أعد نفسي سعيداً عندما أرى الصبية والفتيان يأكلون ويشربون ويقومون ويجلسون وغير فاهمين شيئاً من معنى هذه الحياة ولذتها ومرارتها، ثم أعد نفسي تعيساً عندما أرى ذلك الشاب الذي أسعده الحظ وتزوج من احبها قلبه ومال إليها أشد الميل. ما أسعده انه أحب فتاة اكبر منه بسبع سنوات. انها تحبني ولو انني لست قريباً منها وتحبني ولو انني بعيد عنها.. انني أؤكد ذلك.

وما انتهى من كلامه حتى اقترب منه النعاس وأقفل عينيه بيديه الحديديتين فأخذ يغط في نومه.

تعال معي أيها القارئ الكريم إلى ذلك القصر الشاهق البنيان المتعالي الأطراف القليل السكان الكثير الفظائع المحرمات. خرجت من إحدى غرفه فتاة في ربع العمر وشرخ الشباب وصعدت درجات السلم المؤدي إلى سطح الدار وتنهدت تنهدة طويلة وقالت والهواء يلاعب أطراف ثوبها.. أين أنت الآن ياحبيبي.. لاشك انك تناجيني الآن في وحدتك كما اناجيك أنا البائسة الحزينة – آه.. ما هذا، أهو صوته؟ نعم صوت حبيبي يناجيني من وراء الجدران.. تكلم ياحبيبي تكلم فإنني اسمع صوتك

العذب الرنان. انك لا تريد أن تبوح لي بما يكنه فؤادك من الوجد والهيام خوفاً من عيون الرقباء وآذان الجواسيس. ان روحي تسمع روحك تناجيها ولو انها بعيدة منها بألوف الكيلومترات.

ان قصصك المنشورة في الصحف والمجلات لأعظم مسلٍ لي هذه الوحدة إذ اسمع فيها لسانك يتكلم عما يختلج في صدرك من العواطف والأماني. لا يحق لي ان احب من اشاء انا الزوجة والأم في نفس الوقت المنكوبة الحظ بعد أن لقيت من عسف زوجي ما لا تحمله النفوس وما لا تستطيع وصفه الأقلام. انه تزوجني وهو شيخ هرم لألد له أولاداً يرثون اسمه ولقبه من بعده. والحمد لله فقد نال مني ما ابتغى فماذا يطلب مني بعد كل ذلك؟ سأموت عما قريب وسألاقي هناك وجه الرب العلي العظيم وبجانبي ذلك الذي احبه قلبي ومالت إليه نفسي.

تعال أيها الموت واقطف زهرة حياتنا فإننا سنحيى هناك في الأبدية حياة خالية من الأوهام ومن عسف البشر الطغاة.

وهنا انتهت من كلامها ووقفت كالصنم لا تبدي حراكاً ناظرةً تارةً إلى جمال الطبيعة وأخرى إلى غصن حياتها الذي ذهبت رائحته ادراج الرياح بسبب جناية بني الانسان عليه وعدم شفقتهم به، ثم نزلت من السطح ودخلت إلى غرفتها.

نعيم طويق

قصة اليــوم

نشرت في الاخاء الوطني - العدد 212 - السنة 1 - 30/6/1932

أنيـن وبكــاء ..

بين جدران ذلك الكوخ الحقير المهدم الأركان كان صبياً لا يتجاوز العقد الأول من حياته مضطجعاً على مهد حقير وهو ينظر تارةً هنا وأخرى هناك بعينيه الكبيرتين ولم يكن ثوبه كافياً ليحميه من ذلك البرد القارس الشديد لأنه كان ممزقاً يدل منظره ان لابسه من اولئك التعساء المنكوبين الذين رمت بهم الأقدار بين أحضان الحياة.

وأخيراً قام من موضعه وقال هذه الكلمات بصوت رنان يأخذ بمجامع القلوب ويذيبها غماً وأسى على بؤس صاحبه وشقائه:

اماه .. متى تأتين .. متى تعودين إلي .. لقد انهكني الجوع وأوهن قواي الألم .. أماه .. انك خرجت صباحاً من هنا لنيل بعض دريهمات نسد بها رمقنا من أولئك الطغاة الذين يملئون خزائنهم بالذهب الوهاج وهم لا يبالون بنا ولا يعطونا منها شيئاً يسد رمقنا ويفرج عن حزننا وكآبتنا.. أماه.. كما كان حزني شديداً عليك عندما رأيتك تضمينني إلى صدرك بحنان والدي عظيم وتقبلينني بشفتيك النحيلتين قبلة الأم الحنون لولدها البائس الجائع المضطجع على أسرة الهم واليأس والكآبة والغم وتقولين لي:

ولدي .. ليس لنا الآن شيء نسد به رمقنا فأنا ذاهبة الآن لأنال شيئاً وأعود إليك بعد لحظة بطعام شهي فنم الآن في مهدك الصغير وسأيقظك بعد رجوعي.

كنت في تلك اللحظة أكاد أموت جوعاً لأنك لم تأتِ إلي بطعام ليلة أمس ونمت ولم اسد رمقي بشيء وستمر هذه الليلة أيضاً مرور الليلة الماضية.

ولما انتهيت من كلامك حزنت حزناً شديداً أنساني جوعي وهمي ويأسي وقلت لك:

لا تفزعي يا أماه فإن رجلاً يمر بي من هذ الكوخ كل يوم ويعطيني طعاماً لآكله .. اذهبي يا أماه .. اذهبي ولا تفكري بي.

وخرجت من بين هذه الجدران ولا أعلم أين ذهبت. ها قد مر بي يوم وليلة وأنا بغير طعام .. خرجت هذا اليوم من هذا الكوخ وأخذت أسير على قدمي العاريتين النحيلتين واتوسل إلى هذا أن يعطيني شيئاً من حقيبته وإلى ذاك أن يعطني جزءاً صغيراً من الفاكهة التي يحملها بيديه القويتين ولكن تلك المحاولات تذهب سدىً وتلك الأقوال أدراج الرياح.

ما أقسى اولئك الناس وما أشدهم طغياناً علينا نحن الفقراء المساكين، وكيف يتمنون أن يدخلوا جنة الخلود والعطاء ليس فصلاً من فصول حياتهم.. بماذا سيجيبون الرب العلي العظيم عندما يسألهم في ذلك العالم الجميل عن عدم مبالاتهم بنا وعدم شفقتهم علينا .. يالهم من طغاة مستبدين بنا نحن معشر الفقراء .. تذهب أدراج الرياح تلك الأقوال العظيمة والنصائح الحكيمة التي يتفوه بها اولئك الشعراء المملوؤة قلوبهم رقةً وعطفاً .. ما هذا الألم .. انني اتوجع .. انني أتألم .. آه .. آه .. تعالي .. تعالي .. وانظري ولدك كيف ذهب أماه ضحية للبشر .. ستأتين الي بعد قليل وستكون انفاسي آنئذ قد انقطعت .. من هذا الملاك الواقف أمامي .. انه ملاك الشفقة والحنان .. ان البشر قد اخطأ عندما دعوه بملاك الموت .. كم سيكون حزن أمي شديد عندما ستراني جثة هامدة لا حراك فيها .. انني أحزن كثيراً لا لوفاتي وإنما لما سيؤول بوالدتي بعد مماتي ..

وعاد وجلس في موضعه لا يبدو حراكاً وما هي إلا لحظة حتى غمض عينيه ونام نومه الأزلي.

والطفل غارق في سباته العميق وعلائم الحب والطهارة والشفقة والحنان والكره والبغضاء بادية على ملامحه الجميلة دخلت الكوخ امرأة دهسها العسف بيديه الحديديتين وجعلها بائسة وسحقها الطغيان برجليه القويتين وصيرها شقية فلو اتيح لأحد أن يراها في تلك اللحظة وهي تتقدم نحو ابنها وتناديه بألطف الجمل وأرق العبارات لرأى الطهر هناك مجسماً والحنان الوالدي في ذلك الكوخ ممثلاً.

ولما رأت ان ابنها لا يجيبها بشيء قالت لنفسها:

يجب علي ألا أوقظه .. ربما أعطاه ذلك الرجل الذي نوه به شيئاً من الطعام سد به رمقه ونام نوماً هادئاً.

ورمت بالطعام جانباً وجلست أمام المهد وأخذت تهزه بيديها النحيلتين وهي تغني أغنية تأخذ أنغامها الشجية بمجامع القلوب وجملها الرقيقة تذيب القلوب وعباراتها الجميلة تفتت الأكباد.

ولما انتهت من الغناء قبلت شفتي ذلك الصبي الذي قطف زهرة حياته الموت بيديه الحديديتين وتركه جثة هامدة لا حراك فيها. ما انتهت من تلك القبلة الحارة ألا وصرخت صرخة عظيمة فزعت لهولها تلك الجدران المحطمة وارتعبت لعظمتها تلك الأركان المهدمة. صرخت تلك الصرخة الهائلة لأنها أحست ببرودة شفتيه النحيلتين وهدوء جسمه الفاني وبعد ذلك سقطت على أرض ذلك الكوخ الحقير وأُغمي عليها.

مرت ساعة على اغماء تلك البائسة كان الموت في اثنائها يتقدم من الكوخ بقدميه الهائلتين ويدخله بعد ما انقضت تلك المدة برجليه القويتين.

استفاقت الأم فجأةً من اغمائها كان الموت ايقظها بيديه الحديديتين وفتح عينيها بيديه القويتين وارتمت على وجه ابنها البائس توسعه تقبيلاً وقالت بصوت حزين متقطع كأن الموت يوحيه اليها:

ولداه .. ولداه .. ما أقسى البشر .. انك .. لا تجيبني لأن الموت الذي قبض على روح أبيك قبل مدة قصيرة وتركنا فقراء تعساء عاد الى هذا الكوخ وقبض على روحك الطاهرة بيديه الحديديتين .. ذهبت الى أصحاب البيوت وتوسلت اليهم أن يستخدموني كخادمة في منـزلهم ولكنهم طردوني شر طردة لأنهم رأوا أن مشيبـي سيعجزني عن النشاط في العمل .. جلست اتسول على قارعة الطريق فلم يسمع لأنيني وبكائي أحد. قبل ساعتين ياولدي رأيت رجلاً يتقدم نحوي بخطواته الواسعة ويخرج كل ما في جيبه من قطع النقود ويرميها بين كفي المفتوحتين فشكرته شكراً جزيلاً وسار في طريقه وهو يقول لي:

أؤكد لك لو كان لدي أكثر من ذلك لأعطيته لك.

كنت معجبة بشهامة ذلك الرجل. كيف خلقه الرب بين جماعات هؤلاء الطغاة المستبدين .. انتظر ياولدي .. انتظر فسأقف بعد لحظة بجانبك ونشكو البشر أمام خالقنا الرب العلي العظيم.

نعيـم طويـق

نشرت في الحاصد – العدد 11 – السنة 6 – تموز 1936

قصـة عراقيـة

سـر الرسـالة الصفــراء

- بقلم نعيـم طويـق -

تعودنا في الشتاء المنصرم أن نقضي شطراً من الليل في مقهى صغير يقع أمام "جامع الحيدرخانة" وقد فضلناه على سواه لخلوه من ضوضاء "الدومنة" و "الطاولي" في أغلب الأحيان فجل مرتاديه كنت تراه منهمكاً في المطالعة أو في الحديث بصوت خافت، وكان يستلفت نظرنا في ذلك المقهى شيخ تجعدت وجنتاه ونحل بدنه كان يحمل رسالة صفراء شبه ممزقة الصقت وراءها بعض أوراق ويقتل وقته بتلاوتها، وهكذا شأنه كل ليلة.

وحدث أن جلسنا صدفة إلى جانبه ذات ليلة وكانت الرسالة التي نوهت عنها ملقاة على الطاولة فأخذنا نخوض في أحاديثنا فمر أمامنا فجأةً موكب عرس أشار إليه أحدنا قائلاً: انه لصديقه (س) الذي ظل محجماً عن الزواج مدة من الزمن، مقتاً منه لمراسيمه ولكنه عاد فعدل عن فكرته هذه لسبب مجهول، وإذا بشيخنا يلتفت إلينا بدون تعارف سابق، اللهم إلا بالنظرات التي كنا نتبادلها أحياناً، ويمسك برسالته الصفراء.

حسناً فعل ... وأنتم لماذا لا تتزوجون فتريحون أنفسكم من هذه المقاهي التي لم تخلق إلا للشيوخ العاجزين أمثالي!

فأثارت عبارته هذه أحاديث ملذة طويلة وأخذ هو يستفهم منا، واحداً واحداً، عن سبب عدم مبادرتنا إلى الزواج، فكان يفند أجوبتنا ويمتلكه شيء من الغيظ ثم يعود فيبتسم ابتسامة حزينة تكاد تكون مصطنعة فلم يعد رفيقنا (ح) يتملك زمام عواطفه وقاطع انتقاده لنا، بقوله:

اسمح لي أن أسألك .. هل أنت متزوج وهل لك أولاد؟

فارتسمت على محيا الشيخ كآبة غريبة وأخذ يشخص فينا بضع دقائق، ثم قال وكأنه يستعرض ذكريات ماضيه، بعد أن طوى رسالته باعتناء ووضعها في جيبه بهدوء:

أنا؟ لا .. ولكن ذلك لا يمنعني عن اسداء هذه النصيحة لكم!

وبان لنا أنه يريد أن يسرد علينا الأسباب ولا يتمكن من ذلك ما لم نسأله نحن، فتطوع (ح) الخفيف الروح للقيام بهذه "المهمة" على إشارة منّا، فاعتدل الشيخ آنئذ في مجلسه، وأخذت عيناه تشفيان عن أسى عميق كمريض يلتقي باحبائه بعد فراق طال أمده، وهو على فراش الموت، فقال:

سأحاول جهد طاقتي أن اجعل حديثي اليكم مقتضباً، رغم أنه قد يكون في الإسهاب لذة لكم، ولكن ما العمل والرياح في الخارج تعصف بشدة والمطر يتساقط بغزارة وأخشى أن يكون في نيتكم الرجوع إلى دوركم قبل الوقت المحدد عادةً لبقائكم هنا...

فقاطعه (ح) ثانيةً بصوت مرتفع ملحاً عليه أن يسهب في حديثه، فأمسك به الشيخ وقال:

حسن .. والآن فيجب أن نتعارف قبل كل شيء فقد فاتنا ذلك!

وتم التعارف حسب الأصول، فاصيب الشيخ فجأةً بسعال شديد وتناول كأساً كان إلى جانبه وفيه قليل من الماء، فقربه إلى فمه دون أن يمسه ارتعاد ما، شأنه غالباً عندما كان ينهمك في تلاوة رسالته الصفراء فكان ذلك مبعث اندهاش كبير في نفس (ح) الذي أخذ منذ الابتداء يصغي إلى حديثه ويمعن نظره في وجهه بشوق واهتمام لا مزيد عليها، وأخيراً قال الشيخ:

أما الآن وقد علمتم شيئاً عن هويتي فاعلموا أيضاً انني كنت في أواخر العهد العثماني هنا في بغداد "مأمور تحقيق" معروفاً، فقد توصلت إلى اكتشاف الكثير من الجرائم الغامضة وكانت

السلطات المختصة آنئذ شديدة العناية بي فكنت أنال الهدايا الفاخرة وكان يلتف حولي عدد كبير من المعجبين بي .. ولكن تلك الشهرة الواسعة لم تعوض لي الثمن الباهظ الذي كلفتني اياه .. لقد كنت، قبل أن انال ذلك المركز الرفيع شاباً في الثالثة والعشرين من عمري، وكان مقر وظيفتي أول الأمر في الاستانة حيث عاش خال لي وكثير من أقاربي ...

غير انني ما كنت ازورهم إلا نادراً، حباً بالعزلة والانفراد، ذلك الداء الوبيل الذي لعب في حياتي أدواراً قاسية مؤلمة .. وقد حدث مرة أن مرض خالي ذاك فكان لزاماً عليّ أن اتردد عليه باستمرار مستفهماً عن صحته، فكنا أنا وابنته الوحيدة "نور" نجالسه الساعات الطوال ونسرد عليه كل شاردة وواردة فبلغ من عطفه علي أن دعاني إلى السكنى في داره فرضخت لطلبه وتركت غرفتي الصغيرة التي استأجرتها في حي بعيد من أحياء المدينة ... لابد انكم لاحظتم الرسالة التي وضعتها في جيبي فسأحدثكم عنها الآن .. لست أظنكم تستغربون إذا قلت لكم انني أحببت "نورا" حباً بلغ حد الجنون، ولِمَ لا؟ ألم تكن هي بسني، ذات جمال رائع وسحر أخاذ؟ لقد كانت هي بدورها تبادلني ذلك الحب وتعلق عليّ أعظم الآمال، وكثيراً ما قضينا امسياتنا متنـزهين على شاطىء "البوسفور" مع والدها الذي أشار عليه الطبيب بعد شفائه بمدة وجيزة أن يتنـزه راجلاً كل صباح ومساء جهد طاقته. وكانت "نور" على الدوام تحدثني عن اعجاب والدها بذكائي وفطنتي، فلم اشك يوماً ما في انها ستشاركني الحياة بعد أن أنال وظيفتي التي كانت بسيطة جداً آنئذ، الترفيع المنتظر لأكاشف خالي بالأمر فنحيا نحن الثلاثة أسعد حياة عرفتها، حتى انني بعثت برسالة إلى والدي المرحوم الذي كان يسكن هنا في بغداد، صارحته فيها بالأمر الواقع والأمل المنشود، فرد عليّ يشجعني ويعدني بأنه سيبذل قصارى جهده لإقناع خالي بالموافقة على تلك الفكرة، إذا ما ضاعفت أنا اهتمامي بعملي وفزت بالترفيع المطلوب. غير ان تلك الحالة السعيدة قد انقلبت رأساً على عقب ولم تعد تبدي لي "نور" بشاشتها المعهودة، فما زلت اذكر كيف انها كلما جلست إلى جانبي، أو تنـزهت معي وكنا وحيدين، تلازم الصمت العميق ولا تكاد تلتفت إليّ أو تهتم بي، مضى على تلك الحالة الغريبة ما يقارب الشهر انقطعت أنا بعده عن محادثتها، رغم انني كنت اسكن دارها، اعتقاداً مني انها ستحاول أن تستفهم عن سبب صحتي، كما حاولت أنا ولكنها لم تفعل .. وأخيراً أقبل اليوم الرهيب إذ جاءت لزيارتها إحدى صديقاتها وكنت أنا حاضراً في البيت، فلم تعرّفها بي "نور" كما تقتضي اصول اللياقة، بل صوبت إلي نظرة غريبة وامسكتها من يدها وسارت بها إلى

غرفتها الخاصة وأغلقت بابها، كأنها تريد إنذاري بعدم الدخول، فولجت غرفتي أنا الآخر وأخذت أفكر في إصدار قراري النهائي وقولي الفصل، ففكرت وفكرت حتى خرجت من مأزقي ذاك مرتاحاً مبتهجاً ... فقد قررت الانتقام لكرامتي من تلك الفتاة مهما كلفني الأمر وذلك بأن أطلب في اليوم التالي إلى السلطات المختصة أن تصدر أمرها بنقلي إلى بغداد بحجة ان أبي قد بلغ من العمر عتياً ويجب أن أكون بقربه دائماً. وما كادت تمضي ثلاثة أيام حتى تم كل شيء ونلت غايتي.

وعلى أثر وصولي إلى هنا، تلقيت رسالة من "نور" تعتذر فيها عما كانت تبديه لي، وتؤكد ان حزنها ذاك يعزى إلى ان والدها كان يعرض عليها دائماً رغبته في تزويجها من رجل معروف بثروته ومركزه وتجاربه في الحياة وانها لم تكن لتجرأ أن تصارحني بالحقيقة إشفاقاً علي فأبدت ذلك الصمت والحزن عجزاً منها عن كتم عواطفها الحقيقية، وطلبت إلي أن أعود إلى الاستانة حالاً لاستئناف علاقاتنا القديمة عسى والدها يعدل عن فكرته..

غير انني لم أعر هذه الرسالة أي اهتمام ظناً مني انها تريد أن تخدعني فقضيت بضعة أسابيع هنا شعرت في خلالها بالسعادة تغمر كياني لم ألبث أن تبينت ان نفسي غير مكتفية بذلك الانتقام، فعزمت على مضاعفة جهودي في ذلك المضمار الوعر، وفي الأخير عثرت على امنيتي المنشودة، بطريق الصدفة، فقد عرفتني أمي ذات يوم بسيدة جاءت إلى دارنا لزيارتها، إذ رفعت الحجاب عنها بدون أن تلاحظني، فحاولت أنا أن انسحب من موضعي فشجعتني هي نفسها على البقاء قائلة لي: "أنت عندي بمثابة أخي!" وكانت تلك السيدة في الثلاثين أو الخامسة والثلاثين، جمالها لا بأس به، وقصتها مأساة تدمي القلوب فقد بقيت عاقرة ما ينوف على عشر سنوات فاقترن زوجها بفتاة أخرى وانقطع شيئاً فشيئاً عن زيارة زوجته الأولى "بهيجة" منهمكاً في طفله الذي رزق به من زوجته الثانية فاضطرت "بهيجة" المسكينة إلى أن تقبع في دار صغيرة بجوارنا، تقضي فيها البقية الباقية من سنيها.

وصفوة القول ان أواصر الصداقة قد قويت بيننا بنتيجة الزيارات العديدة التي أدتها إلينا، وقد حدث مرة ان جاءت لزيارتنا وكنت أنا وحدي في الدار فجلست إلى جانبي وأخذت أنا اسرد عليها حادث هيامي بـ"نور" فبدت عليها سيماء التأثر الشديد وحدث مرة أخرى بعد بضعة شهور أن

تلاقينا على انعزال في الدار .. أنا لا أريد أن اكتم عليكم شيئاً من الحقيقة.. لقد أحسست آنئذ بانه قد آن أوان انتقامي الحقيقي من "نور" فأخذ قلبي يخفق بشدة شأني عندما صارحت "نوراً" بحبي لأول مرة.. دنوت من "بهيجة" وتناولت يدها بدافع صارخ، وضغطت عليها بشدة ورحت أُدني شفتي من شفتيها النحيلتين محاولاً ضمها إلى صدري فما كان منها إلا أن دفعتني عنها بكل عنف ثم نهضت وشرر الغيظ يتطاير من عينيها الناعستين، فكان نصيبي منها لطمة قوية كادت تفقدني صوابي، ثم خرجت من بيتنا مسرعة!! أواه.. ماذا فعلت؟ لقدكان علي أن أتريث في الأمر ولا أقدم على مثل تلك المغامرة الشعواء بذلك التسرع! هذا ما فكرت إذ ذاك فيه.

مر علي يومان وأنا في أقسى حالة من الاضطراب والألم.. ماذا كان عليّ أن أفعل؟ هل اعود إلى "نور" واخفف إلى جانبها من لوعتي، عساها ترأف بي وسرعان ما نبذت هذه الفكرة.. لم يكن بإمكاني أن أبقى منعزلاً بعدما تفتح قلبي للحب مرتين فباء بفشل مريع!.. وأخيراً آليت على نفسي أن ابعث حب "نور" من مرقده وأروض قلبي عليه متناسياً ما مضى فقررت السفر ثانيةً إلى الاستانة مهبط أحلامي وآمالي... فوصلت تلك المدينة مساءً وطلبت إلى الحمال الذي كان يقوم بنقل أمتعتي أن يذهب بي تواً إلى دار "ثابت بك" خالي ووالد "نور" فأخذ يسير بي في شوارع لم أكن لأعهدها قبلاً حتى وصلنا إلى قصر شاهق فخم البناء قبل أن أطرق بابه لمحت عليه لوحة صغيرة لم أتبين ما كتب عليها للظلام الذي كان سائداً تلك الليلة التي اشتدت فيها العواصف والرياح عند أول ما وطأت قدماي أرض الاستانة، فأشعلت عدة أعواد من الكبريت حتى توصلت إلى بغيتي ولكن الاسم الذي وجدته كان لشخص مجهول يدعى "صدري بك" فسألت صاحبي عنه فقال: "أجل، ولكن هنا يسكن ثابت بك، فهذا القصر هو لزوج ابنته!" إذن فقد تزوجت "نور"؟.. آه.

واصابتني انتفاضة عنيفة وأشرت على الحمال بالرجوع، وطلبت إليه أن يذهب بي إلى أقرب نزل يعرفه لأبات فيه تلك الليلة، ففعل.. وفي صباح اليوم التالي كنتُ اقطع تذكرة للسفر للعودة إلى بغداد.

وهكذا هجرت الاستانة نهائياً.. والآن فحياتي أشبه شيء بحديقة قفراء عبثت بها ريح الخريف العصوف ولم تبقَ فيها سوى أوراق مصفرة متساقطة هنا وهناك وأغصان يابسة منكسرة، إذ أن

كل ما تبقى لدي من ذلك العهد الجميل هو هذه الرسالة التي بعثت بها اليّ "نور" تستعطفني وتطلب صفحي والتي انهمك في تلاوتها كل ليلة، فبذلك وحده أجد ما يخفف عني فداحة المصاب الذي نكبت به ولم أزل في ريعان الشباب!

وأخرج المسكين من جيبه الرسالة الصفراء فقال:

اسمعوا.. انها تقول لي: "لقد آن لزهرة شبابي أن تنفتح أكمامها للحب والحياة ولكن الندى بعيد عنها الآن غير ان شعاع أملي يضيء زوايا نفسي القاتمة، فلابد عما قريب أن ينتهي الليل ويبزغ الفجر فاحظى بسعادتي المنشودة واترنم باغاني الخلود!!".. والآن فإني استودعكم الله..

ليلتكم سعيدة ياأعزائي...

ونهض مستنداً إلى عصاه، وخرج من المقهى ببطئه المعهود.

وقائع الحفل التأبيني

لفقيد الصحافة والأدب العربي[1]

صالح نعيم طويق

أقامت رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق حفلاً تأبينياً لفقيد الصحافة والأدب الأستاذ المرحوم صالح نعيم طويق، في حفل حضره جمع غفير من المدعوين من كبار رجال الطائفة اليهودية النازحة من العراق وعلى رأسهم عائلة الفقيد وأرملته السيدة ياسة (هداسة) طويق، وابنه اسحق، والسيد سلمان خلاصجي، ومردخاي بن بورات رئيس إدارة مركز تراث يهود العراق في أور- يهودا، والسيد دافيد فتال عضو الكنيست السابق. وبعد إيقاد الشموع وقراءة فصل من المزامير، افتتح رئيس الحفل البروفيسور شموئيل موريه الأمسية بإلقاء كلمة افتتاحية، تحدث فيها عن الفقيد ونضاله السياسي والصحفي والأدبي والنقدي في العراق وإسرائيل، ثم تتابع الخطباء والشعراء والقوا كلماتهم باللغتين العربية والعبرية وانشدوا قصائد الرثاء مما أثار أشجان ودموع الحاضرين، وقد نوه البروفيسور شموئيل موريه بالمهمة الكبرى التي تقوم بها مجلة "الشرق" الغراء وعلى رأسها صاحبها ومحررها الأديب الدكتور محمود عباسي لخدمة الأدب العربي في البلاد وتشجيعه للأدباء والشعراء من مختلف الطوائف في إسرائيل للتأليف والنشر باللغة العربية ودعوته المستمرة للإخاء والتعاون المثمر البناء في جميع المجالات.

وفيما يلي ننشر كلمات وقصائد المشاركين في هذا الحفل التأبيني.

---

١ نشرت في مجلة الشرق الصادرة في شفا عمرو، العدد الثالث - السنة 19- تموز- أيلول، 1989، الصفحات 65-35. نشكر الدكتور محمود عباسي المحرر المسؤول لمجلة الشرق على تكريسه هذا العدد لذكرى الفقيد صالح نعيم طويق (1989-1916).

كلمة البروفيسور شموئيل موريه

رئيس رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق

قبل أن تندمل جراح رحيل صديقنا المخرج شمعون عماري، رحمه الله، صعقتنا وفاة فقيدنا المرحوم صالح نعيم طويق، فتركت في قلوب الأهل والأصدقاء والمعجبين غصة وحسرة. لقد فقد يهود العراق علماً آخر من أعلام الأدب والصحافة، ممن أبقوا بصمات عميقة في حياة ونفوس يهود العراق في المهجر وفي البلاد.

ينتمي صالح طويق إلى عائلة كبيرة وعريقة، ولد في بغداد عام 1916، وأنهى تحصيله العلمي في مدرسة أليانس عام 1934. نزعت نفسه إلى العمل بالصحافة فمارسها على مدى 30 عاما، وعمل خلالها محرراً في خمس صحف من أبرز وأشهر صحف العراق مثل الأهالي، والمبدأ التي ترأسها جعفر أبو التمن، وصوت الأهالي لسان حال الحزب الوطني الديمقراطي العراقي، التي ترأس تحريرها كامل الجادرجي، ومجلة الزمان الفصلية المستقلة .

كان الفقيد من أوائل الصحفيين العراقيين الذين ادخلوا الأخبار العالمية في الصحف العربية، وأوردوا التعليقات السياسية في الصحف والإذاعات العالمية التي كانت تذيع بالانجليزية والفرنسية. وكان عضوا بارزا في نقابة الصحافيين العراقيين إلى حين قدومه إلى البلاد.

التحق طويق في بداية مشواره بالحزب الشيوعي العراقي، محتذياً بذلك نهج معظم الشباب اليهود في العراق. وعندما تأسس الحزب الوطني الديمقراطي عام 1946 برئاسة كامل الجادرجي، انضم إلى صفوف هذا الحزب، واشرف على تحرير صحيفة الحزب مع صديقه مراد العماري، الذي توثقت أقواله في "مؤتمر تراث يهود بابل" (14/5/89-17/5/89) الذي عقده مركز تراث يهود بابل، حيث صرح بأن صالح طويق كان عنصراً مهماً بعد كامل الجادرجي، في صحيفة الأهالي وبأنه كان صاحب تأثير كبير في الصحيفة والحزب، وانه كان يكتب الافتتاحيات والمقالات الرئيسية في هذه الصحيفة الواسعة الانتشار.

لم يغادر المرحوم العراق في حملة الهجرة الكبيرة إلى إسرائيل عام 1951، مثله مثل الكثير من المثقفين ذوي اليد الطولى في الحياة الثقافية والأدبية والصحفية في العراق مثل المرحوم أنور شاؤول والسادة مير بصري، مراد العماري وسليم بصون أمد الله في أعمارهم. وقد ظلوا في العراق انطلاقا من دوافع وطنية عراقية والإخلاص لمبادئ الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي أمن بوحدة الشعب العراقي، على مختلف فئاته الدينية والطائفية والقومية. وقد ناضل المرحوم لتدعيم أركان الديمقراطية وسيادة واستقلال الدولة العراقية، وناضل كذلك من أجل حرية العمل السياسي الحزبي، والنقابات والتنظيمات المهنية، وكافح الإقطاع وأيد الإصلاح الزراعي وتوزيع الأراضي على الفقراء من الفلاحين.

كان المرحوم صالح طويق مناضلاً بارزاً من اجل الديمقراطية والمساواة والحرية في العراق. كان يمثل الجيل الثاني من المثقفين اليهود الذين نشأوا على القيم الحضارية الغربية، وعلى حرية التعبير والمساواة والعدل. لقد اعتبر المرحوم نفسه يهوديا فخورا وعراقيا وطنيا، يعمل بكل إخلاص من اجل وحدة الشعب العراقي بواسطة الصحافة والفعاليات الحزبية المنظمة والشرعية. لقد منحته ثقافته الغربية وتمكنه من اللغتين الانجليزية والفرنسية وآدابهما مكانة خاصة كأديب وناقد وصحفي. لقد امن بالمثل والمبادئ السامية للتقدم والمساواة التي كان ينشرها ويعمق جذورها في المجتمع العراقي. إلا أن الكثيرين من القادة العراقيين لم يتمسكوا بهذه القيم الحضارية، إنما امنوا بالقيم التي تكيفت معها الإمبراطورية العثمانية في مرحلة استيعابها للحضارة الغربية، وهي قيم تشوه الإنسانية الأوروبية وتجعل من الفئة الحاكمة حركة استبدادية قومية دينية متعصبة، تحاول أن تذيب في داخلها الأقليات الدينية والقومية.

ومن هنا يكمن سبب لجوء الزعامة العراقية إلى ضرب كل أقلية ترفض الانصياع لإرادتها بقبضة حديدية، خاصة الأقلية الكردية، بعد طرد اليهود من العراق بحجة تبادل بشري مع اللاجئين الفلسطينيين. وهكذا وجد هؤلاء المثقفون المخلصون أنفسهم مرغمين على الفرار إلى إسرائيل وبلدان أخرى، بعد أن يئسوا من إمكانية تحقيق قيمهم السامية.

واصل المرحوم طويق في إسرائيل فعالياته الأدبية والصحفية من الإذاعة الإسرائيلية ومن على صفحات الأنباء، حيث نشر مع صديقه المرحوم أنور شاؤول سلسلة من المقالات حول الصحافة اليهودية في العراق. وسوف نحاول نشر هذه المقالات في كتاب منفرد في إطار منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق.

عندما بلغني من المرحوم أنور شاؤول عن قدوم صالح طويق إلى البلاد تبادلت معه الرسائل، ولم يكن الهدف من ذلك بأن أشمله في كتاب "تراجم وآثار في الأدب العربي في اسرائيل، 1986-1948، شفا عمرو، 1987، ص 142" الذي وضعته مع صديقي الدكتور محمود عباسي فقط، إنما لتشجيعه على كتابة مذكراته، وفي الرسالة التي كتبها لي المرحوم صالح طويق يوم 1/12/1978، استجاب لطلبي مبدئيا فكتب يقول: "هذا واني سأعمل جاهدا على تحقيق اقتراحك المصيب المتعلق بكتابة ذكرياتي وذلك في الوقت المناسب الذي استطيع فيه التفرغ لمثل هذا العمل، ولكل مقام مقال، كما يقال..." . إلا أن القدر، لم يمكنه لمزيد الأسف، أن يلبي مطلبي ومطلب الدكتور نسيم قزاز كتابة مذكراته حول نشاطاته السياسية، الاجتماعية، الأدبية والصحافية، إلا أن رابطة الجامعيين ستبذل قصارى جهدها لنشر مخطوطات ومؤلفات عزيزنا المرحوم صالح طويق بمساعدة الأديب والباحث الدكتور محمود عباسي، الذي يبذل قصارى جهده لتوثيق النشاط الأدبي باللغة العربية في إسرائيل. وهكذا نقدم بعض الوفاء بتخليد بعض إبداعات وكتابات المرحوم صالح طويق، ولتكن ذكراه خالدة.

كلمة الصحفي والشاعر مراد العماري

"طويق الصحافي والأديب"

أيها الحفل الكريم:

صعبٌ، بل صعبٌ جداً عليّ –وايم الله- أن أقف موقفي هذا لأرثي أخاً وصديقاً عزّ نظيره في حياتي ولم يخطُر ببالي أبداً أن اضطر يوماً الى الوقوف في حفل حزين كهذا لأقول كلمة في الأخ الفقيد صالح نعيم طويق.

فقد كان منذ عرفته قبل أكثر من أربعين عاماً ملء العين والسمع والبصر، والمؤلم جداً في حزني عليه، أنني أمضيتُ مؤخراً شهوراً طويلة وحزينة، ففي مطلع هذا العام انتهى العام الاول لوفاة والدتي العزيزة ليبدأ العام الثاني في اعمار الموت، وفي شهر شباط فقدت صديقي وأخي بالرضاعة

الفنان شمعون بن عمري "سيمون العماري"، وفي شهر أذار انتقل الى جوار ربه صديقي وزميلي في جريدة الشعب ببغداد نعيم صالح رحميم، وجاء نيسان، شهر الربيع والحرية والانعتاق، الشهر الذي تتفتح فيه الزهور، ويفوح العبير، فاقتطف من بيننا زهرة فواحة عبقة – اقتطف الاخ العزيز الفاضل نعيم طويق، فكان موته ثالثة الاثافي، وقد ظننت لجهلي ان موجة الموت ستنحسر بعد ذلك الا اننا فقدنا في الاسبوع الماضي الفنان والموسيقار الملهم داود اكرم، وأسال الله ان يعفو عنا بعض الوقت فيبعد عنا المزيد من المصائب والويلات.

أيها الحفل الكريم:

لقد تعرفت على الصديق نعيم طويق شخصيا في عام 1946 وان كنت قد سمعت عنه الكثير قبل ذلك بسنة او اكثر، تعرفت عليه بعد انضمامي الى الحزب الوطني الديمقراطي الذي تأسس في شهر نيسان 1946، وكان المرحوم نعيم انذاك يعمل في جريدة "صوت الاهالي" التي اعتبرت فيما بعد لسان حال الحزب الوطني الديمقراطي، ثم توطدت بيننا الصداقة وتعززت الاخوة لا سيما وانني كنت دائما ابحث عن اخ لي اصطفيه، فقد حرمني الله من شقيق واحد، ولذلك كان حرصي على اختيار صديق يعوضني عن اخ شديداً جداً فكان المرحوم نعيم ذلك الاخ والصديق.

ولم يمض وقت طويل حتى بدأت اعمل انا ايضا في جريدة "صوت الاهالي" محررا برلمانيا ومسؤولا عن الشؤون الخارجية، فتوثقت بيننا عُرى صداقة حميمة، واخوة صحيحة، وزمالة صادقة استمرت في مد مستمر لم يعتوِره أي جزر أبداً، وهو امر نادر بين الاصدقاء.

كان الاخ نعيم قد سبقني في العمل الصحفي سنين عديدة، فقد بدأ يمارس هذه المهنة التي يسمونها مهنة "البحث عن المتاعب" في عام 1932 ولكن بصورة متقطعة، الا انه اخذ يمارس هذه المهنة بانتظام واستمرار منذ عام 1934 فظل كذلك حتى شباط 1963، أي بعد الانقلاب الذي وقع ضد الزعيم العظيم عبد الكريم قاسم، وما تبع ذلك من اغلاق جريدة "الزمان" التي كان يعمل بها انذاك، على ان العمل الصحفي الذي اجتذب الاخ نعيم ابعد عنه هواية جذابة هي هواية الادب. ولولا انصرافه التام للعمل الصحفي لكان المرحوم نعيم طويق احتل مكانة بين اعاظم الادباء في العراق وفي هذه المنطقة من العالم، بالنظر لحرصه الشديد على الاحاطة بالانتاج الادبي ليس باللغة العربية فقط وانما ايضا بالفرنسية والانكليزية.

وقد اعترف –رحمه الله- بانصرافه عن الادب، والتصاقه بالصحافة في حديث أجراه معه البروفيسور شموئيل موريه ونشر في مجلة "الشرق" للاستاذ الدكتور محمود عباسي قبل عامين.

اذ قال ان أول قصة له نشرت في جريدة الاخاء الوطني عام 1930 وانه نشر بعض القصص والبحوث الادبية في مجلة الحاصد لصاحبها المرحوم الشاعر انور شاؤول إضافة الى قصص وبحوث أدبية اخرى نشرت في عدد من الصحف العراقية وخاصة "جريدة الاهالي" التي كان من ابرز العاملين فيها منذ بداية الاربعينات وحتى اغلاقها في شهر تشرين الثاني 1952 .

والمؤلم هنا، ما يقوله الاخ نعيم في نفس الحديث معلنا انه لم يحتفظ باي نسخة من تلك القصص التي نشرها، كما ا نه لم يحتفظ باي عمل ادبي اخر في العراق، وبهذا اسقط في يد كل من يسعى لان يحيى تراث نعيم طويق الادبي في العراق.

اما سبب ذلك –على حد تعبيره- فهو حكمة الفيلسوف العظيم اينشتاين القائلة:

إن القيمة الحقيقية للانسان تقاس بمدى تحرره من كلمة "أنا"

والحق ان الفقيد العزيز ، كان حريصا على التحرر من كلمة "أنا" وهذا امر يعرفه كل من كانت له صلة او علاقة به، غير ان التحرر من كلمة "أنا " شيء والانتاج شيء أخر ، والدليل على ذلك هو ان البروفيسور اينشتاين مع حرصه على التحرر من كلمة انا لم يحرم العالم من الاطلاع على نظريته النسبية الشهيرة اضافة الى كل انتاجه العلمي الخلاق الذي خدم وسيظل يخدم البشرية قرونا عديدة.

أيها الحفل الكريم:

ان قصص المرحوم طويق كانت مستمدة من الواقع، وقد طعمتها دراساته الادبية العميقة المتشعبة، وطبعتها بساطته المتناهية باسلوب هادئ رصين رزين امين، ويا ليت الميل الادبي استبد بالاخ طويق مثلما استبدت به الصحافة اذن لاتحفنا بكل انتاج ادبي خلاق غير انه وجد ان الانتاج الادبي لا بد ان يكشف "الأنا" وهو حريص على التحرر منها، فانصرف بكليته الى الصحافة التي وجد فيها متنفسا لميله الادبي فاستقر في جريدة "صوت الاهالي" يكتب المقالات الافتتاحية دون توقيع، وفي جريدة "الزمان" مسؤولا عن الاخبار الخارجية التي تنشر بدون توقيع، وبهذا حقق بغيته من حيث التحرر من "الأنا" مع التكيف بعض الشيء مع واقعه الذي ابعده عن هواياته الادبية الطاغية، واقول الطاغية لان مطالعاته الأدبية لم تنقطع ويكفي ان اذكر هنا انه التهم خلال سنواته الاربع او الخمس الاخيرة اكثر من اربعمائة كتاب اكثريتها العظمى كانت من تاليف النابغين النابهين من ادباء فرنسا الذين عاشوا قبل وبعد الثورة الفرنسية.

وبعد ان حقق الفقيد العزيز بغيته في الانصراف عن الادب والالتصاق بالصحافة توقف عن كل عمل ادبي وفي هذا يقول: "اما فترة كتاباتي الادبية في العراق فانها لم تتجاوز بضع سنوات فقط توقفت بعدها عن كل عمل ادبي الا في حالات متقطعة وذلك تحت ضغط ممارستي للعمل الصحفي المتواصل الذي بدا عام 1934 وانتهى عام 1963.

وهكذا انطوت تاريخيا الفترة الادبية في حياة المرحوم نعيم طويق دون ان يبقى لها اثر يذكر، فكل ما كتب في هذا المجال اما مفقود او غير ميسور لانه لم يحتفظ لديه بأي نسخة مما كتب ونشر من قصص وبحوث ادبية.

واذا كان هذا مصير الحياة الأدبية القصيرة لفقيدنا الغالي، فهل كان مصير حياته الصحفية الطويلة افضل وأحسن؟

قلت فيما سبق انه استقر في العمل الصحفي لانه وجد فيه المكان الذي يشبع فيه ميوله الأدبية من ناحية ويحقق له رغبته في التحرر من "الأنا" من ناحية اخرى، فعلى الرغم من انغماسه عميقا عميقا في الحياة السياسية في العراق بحكم قربه من عمله المباشر مع زعيم الحزب الوطني الديمقراطي كامل الجادرجي فانه لم يفكر ولا لحظة واحدة ان ينشر اسمه في صدر أي من المقالات الافتتاحية التي كان يكتبها لجريدة الأهالي وأخواتها، فأي نوع من الايثار هذا الذي اودعه فيك رب العالمين يا نعيم؟ ان الناس كانوا يموتون حرصا على ان ينشر اسمهم في جريدة الاهالي وانت تابى ان ينشر اسمك باي شكل من الاشكال.

فماذا كانت نتيجة هذه التضحية، واي تكريم حصل عليه الاخ الفقيد من الحزب الوطني الديمقراطي بل من زعيمه؟

اود قبل ان اجيب على هذا التساؤل ان اروي للحضور ان الاخ نعيم عندما ترك العمل الصحفي في عام 1963 لم ينقطع عن اتصاله بالمرحوم الجادرجي حتى عندما كانت جريدة الاهالي مغلقة واكشف لكم هنا ان كل البيانات الاحتجاجية العنيفة التي اصدرها الجادرجي بين عامي 1963و 1967 وخاصة تلك التي وجهها الى الرئيس العراقي عبد السلام عارف المعروف بعدائه الطائفي وخاصة لليهود، كانت بخط الأخ نعيم الذي درج على ان يذهب الى دار الجادرجي في الوقت الذي كان فيه اقرب المقربين للحزب يخشى ان يقترب من دار الجادرجي، وبهذا يمكن ان تعرفوا مبلغ التضحية التي قدمها للحزب ولرئيس الحزب دون ان يفكر هو بالعاقبة. ودون ان يفكر احد بتقديم ولو باقة من الشكر له والاعتراف بالجميل الذي اسداه لزعيم الحزب، الا ان

الذي حصل هو ان المرحوم الجادرجي نفسه لم يذكر اسم نعيم طويق في مذكراته التي نشرها ابنه نصير في عام 1971، بل اشار اليه عند اقتضاء الحاجة بكلمة "احد المحررين" ! أجل هذا الشخص الذي يصطفيه الجادرجي، ويقربه اليه، ويدعوه الى داره ويكتب المذكرات السياسية الخطيرة معه، قد تحول الى "احد المحررين" وقد شككت في حينه ان يكون الجادرجي قد تجنب ذكر اسم نعيم طويق في مذكراته على الرغم من ان ابنه نصير اكد في مقدمة الكتاب ان المذكرات نشرت بنصها الكامل الحرفي وقد التقيت بالسيد نصير الجادرجي في شهر نيسان 1971 في مستشفى السامرائي ببغداد حيث كانت تعالج المرحومة زوجتي فسالته عن ذلك فاكد لي صحة ما كتب في مقدمة المذكرات .

ولعل العذر الوحيد الذي سيورده الجادرجي للأخ نعيم وهما في جنات الخلود هو انه فعل ما فعل لان المرحوم نعيم حريص على التحرر من كلمة "أنا".

غير ان الأخ نعيم المعروف بحسه المرهف، لم ينزعج كثيرا ولعله لم ينزعج أصلا لأن الجادرجي فضل الا ينشر اسمه في المذكرات، فظل يذكره دائما بكل خير، خذوا مثلا ما قاله عن الجادرجي في حديث مع البروفيسور موريه!

- ..... وبحكم عملي الصحفي كنت اعرف الكثيرين من رجال الادب والفكر والسياسة، كان أولهم وفي طليعتهم الزعيم الوطني الديمقراطي المناضل المرحوم الاستاذ كامل الجادرجي الذي عملت بمعيته في الميادين الصحفية والحزبية اعتبارا من عام 1932 الى غاية وفاته في عام 1968.

الا ان اتصال فقيدنا بالجادرجي لم يقتصر على العمل في الجريدة، او في الحزب فقط فقد كانت له نافذة اخرى ... اردت ان اكشف لكم هنا عن هذه النافذة في حياة الأخ الفقيد لا لان الجادرجي لم يكشف عنها في مذكراته بل لاوضح لكم الاوضاع الخطيرة التي اقحم الأخ نعيم نفسه فيها وكان من شانها ان توصله الى الهلاك، ولكنه لم يكن ليفكر في موضوع الهلاك ما دام معتقدا بانه يؤدي خدمة، بل واجبا وطنيا عليه.

لقد حاولت مرارا ان اقنع الاخ نعيم بكتابة مذكراته الغنية عن هذه المواضيع السياسية الخطيرة الا انه ابى باصرار لا مثيل له فحرمنا من معلومات ثمينة كانت ستكشف عن خفايا السياسة في العراق.

ايها الحفل الكريم:

وبعد ان قدم الأخ نعيم مع عائلته الكريمة الى البلاد في عام 1973 استأنف نشاطه الأدبي بصورة محدودة، فأتحف صوت اسرائيل باللغة العربية فترة من الوقت ببحوثه الادبية، وتعليقاته السياسية، كذلك فعل في بعض الصحف والمجلات المحلية كصحيفة الانباء التي انقطعت عن الصدور ومجلة الشرق التي ظل يمدها حتى الى وقت متاخر ببحوثه الادبية النفيسة، وقد شارك المرحوم نعيم طويق بحيز وافر من سلسة المقالات التي نشرتها صحيفة الانباء في عام 1976 عن اثر المواطنين اليهود في المجتمع العراقي الحديث، ولعل عارفي الأخ نعيم يعملون على جمع ما يمكن جمعه من هذا التراث النفيس لنشره بين العالمين.

ايها الحفل الكريم:

هذا هو نعيم طويق مثال نادر جدا من الايثار والتواضع والامانة والفضيلة والحس المرهف، وقطعة مبوتقة من النبل والخلق وحب الغير، واذا كان شعار الناس الافاضل "احب لغيرك ما تحب لنفسك" فثقوا ان شعار الفقيد نعيم كان "احب لغيرك اكثر مما تحب لنفسك" على اني اود ان اوضح هنا شيئا لا بد من ايضاحه، فقد قلت ان الاخ نعيم كان متميزا بالايثار والتواضع والامانة غير ان المهم في حياته الا تمس كرامته باي شكل من الاشكال، فقد كان يضع كرامته فوق كل شيء مثلما يفعل الكرام من الناس وهكذا عاش كريما مكرماً عفيف القلب واليد واللسان .

هذه – ايها الاخوة والاخوات- رحلة خاطفة في حياة فقيدنا الغالي نعيم طويق الادبية والصحافية، ارجو الا اكون قد قصرت في سردها كل التقصير وان كانت حياته هذه مجهولة كل الجهل بالنسبة لمن لا يعرفونه، معروفة بعض الشيء بالنسبة لمن يعرفونه، وانا لا استطيع في هذا المقام ان اسرد كل ما اريد سرده مما اعرف عن اخي الفقيد، عسى ان يوفقني الله لكي اؤدي واجبي تجاهه بهذه الشان باسرع وقت ممكن.

فيا ايها الفقيد الغالي، ستظل مقيما في قلبي الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا، واعلم انني لم اهل التراب على جسمك الطاهر كما يفعل الناس مع الاموات، لأني لا استسيغ هذه العادة، الا انه عندما انسدت حفرة القبر عليك، وانت تحت الارض فتحت بوجهك ابواب الخلود وانت في الجنة .

وقبل ان اختتم هذه الكلمة ارجوك ان تغفر لي كل ما قصرت به تجاهك خلال دربنا الطويل، تغمدك الله بالوسيع من رحمته، وأسكنك الفسيح من جنته ....

وإنا لله وانا اليه راجعون...

رثاء الاديب صالح نعيم طويق

فَقَدْتُكَ يا نعيم

للشاعر مراد العماري

أَرْهَقْتُ نَفْسي بِٱلمَسيرِ　　　فَمَتى إِذَن أَلقى مَصيري
وَمَتى إِذَنْ يهدا الفُؤادُ　　　مِنَ المَصائِبِ وَالشُّرُورِ؟
وَمَتى إِذَنْ أَجِدُ السَّكينَةَ　　　بَيْنَ وُلْدانٍ وَحُورِ؟
وَإِلى مَتى أَبْقى أُشَيِّعُ　　　صُحْبَتى نَحْوَ ٱلقُبُورِ؟
أَبِكُلِّ شَهْرٍ ضَرْبَةٌ　　　هَوْجَاءُ قَاصِمَةُ الظُّهُورِ؟
أَبِكُلِّ شَهْرٍ غَصَّةٌ　　　نَكْرَاءُ مُلْجِمَةُ الثُّغُورِ؟
أَبِكُلِّ شَهْرٍ صَعْقَةٌ　　　عَمْياءُ تُذْهِبُ بالشُّعُورِ؟
يا نَفْسُ قَد طالَ السُّرى　　　وَٱلأُفْقُ يُومِيءُ بِالنَّذِيرِ
إِيَّاكِ أَنْ تَتَذَمَّرِي　　　فَعَلَيْكِ تَكْمِلَةُ ٱلمَسيرِ

*****

انَعيمُ إِنَّكَ فِي ٱلحَشا　　　فِي الرُّوحِ وَالقَلْبِ ٱلكَسيرِ
انَعيمُ قَد مَسَّ ٱلمَصابُ　　　حُشاشَةَ ٱلخِلِّ ٱلأَثيرِ
انَعيمُ قَدْ كُنْتَ ٱلمَناعَةَ　　　وَٱلحَصانَةَ لِلْعَشيرِ
كُنْتَ ٱلمُداوِي، رَغْبَةً،　　　أَلَمَ ٱلكَبيرِ أَو ٱلصَّغيرِ
كُنْتَ ٱلمُداري صَحْبَهُ　　　بِرَحَابَةِ ٱلقَلْبِ ٱلكَبيرِ
فَلِمَ ٱلتَجَأْتَ إِلى السِّباقِ　　　وَأَنْتَ أَبْعَدُ عَنْ نُذُورِ؟
وَمَضَيْتَ تَصْعَدُ لَلْعُلا　　　وَتَرَكْتَني خُلْوَ الظَّهيرِ
وَرَحَلْتَ قَبْلي لِلسَّما　　　لأَظَلَّ في الصَّفِّ الأَخيرِ

*****

يا أَيُّها ٱلعَلَمُ ٱلمُشِعُّ — بِعلمِهِ مِنْ كُلِّ نُورِ
أَيْنَ الضِّياءُ وَقَدْ خَبَتْ — إِشْعَاعَةُ القَمَرِ ٱلمُنِيرِ؟
وَالرَّوْضَةُ الغَنَّاءُ قَدْ — بَاتَتْ مُصَوَّحَةَ الزُّهُورِ
أَيصِحُّ أَنْ يَقْضي الرَّبِيعُ — عَلى ٱلوُرُودِ، عَلى ٱلعُطُورِ؟
أَيصِحُّ أَنْ يَقْضِي ٱلحِمَامُ — عَلى ٱلحَمَائِمِ لا الصُّقُورِ؟

* * * * *

أَنَعِيمُ جِئْتُكَ سَائِلاً — فَاَجِبْ سُؤالَ ٱلمُسْتَشِيرِ
فَهَلِ ٱسْتَعَضْتَ بِجَنَّةٍ — عَنْ عَيْشِ دُنْياكَ ٱلمَرِيرِ
وَهُناكَ لا بُدَّ ٱلتَقَيْتَ — بِأَهْلِ مَكْرُمَةٍ وَخيْرِ
وَهُناكَ تَبْقى هانِئاً — مُتَنَعِّماً بَيْنَ ٱلعَشِيرِ
وَهُناكَ تَمْكُثُ ناعِماً — بالسَّعْدِ وَٱلعَيْشِ ٱلغَرِيرِ
وَهُناكَ لا تَلْقى ٱلنِّفَاقَ — مُعَشِّشاً بَيْنَ ٱلوُكُورِ
وَهُناكَ لا تَجِدُ ٱلمَظالِمَ — تَبْتَغي قَتْلَ ٱلضَّمِيرِ
فإذا تَحَقَّقَ كُلُّ ذا — فٱحْذَرْ مِنَ الدُّنْيا ٱلغَرُورِ

* * * * *

أَنَعيمُ قَدْ جِئتَ ٱلحَياةَ — وَمُرُّها مِلْءُ الثُّغُورِ
وَرَأَيْتَ دُنْيا لِلْفَواجِعِ — وَٱلكَوارِثِ وَالثُّبُورِ
وَلَوَيْتَ – ما ٱسْطاعَ اليَرَاعُ - ذِراعَ أَفَّاكٍ شَرِيرِ
جَبَرُوتُهُ فَوْقَ ٱلأَنامِ — وَذُلُّهُ تَحْتَ ٱلفُجُورِ
حَكَمُوا الرَّعِيّةَ بالسّياطِ — تَلَهَّبَتْ فَوْقَ الظُّهُورِ
فَأَرَدْتَ إِحْقاقَ ٱلحُقُوقِ — وَرُمْتَ إِنْصَافَ ٱلأَجِيرِ
وَحَمَلْتَ أَعْباءَ الجمُوعِ — بِلا جَزاءٍ أَو شُكُورِ

* * * * *

بَغْدادُ لا تَنْسَيْ فَتاكِ — فَإِنَّهُ حُرُّ الضَّمِيرِ
لَقَد ٱصْطَفاكِ حَبِيبَةً — مِنْ بَعْدِ رَبّاتِ ٱلخُدورِ

وَسَقاكَ مِنْ ذَوْبِ الشَّبابِ   عُصارَةَ ٱلْكَبِدِ ٱلْحَرُورِ
وَجَدَ ٱلْقَليلُ مُسَلَّطاً   يَقْسُو عَلى ٱلْجَمْعِ ٱلْغَفيرِ
يَسْتَقْطِرُونَ دِمَاءَهُ   لِحِسابِ مَزْرَعَةِ ٱلأَميرِ
يَتَقَلَّبُونَ عَلى ٱلْحَريرِ   وَآخَرُونَ عَلى حَصيرِ
وَتَراكَمَتْ غِيَرُ الزَّمانِ   عَلى ٱلْمُعَذَّبِ وَٱلْفَقيرِ
فَلِذا ٱسْتَشاطَ مُطالِباً   بالجِدِّ في ٱلْيَوْمِ ٱلْعَسيرِ
وَلِذا ٱسْتَثارَ حَفيظَةً   لِيَذُبَّ عَنْ شَعْبٍ صَبُورِ
وَيَفُلَّ أَطْواقَ ٱلْعَبيدِ   يَفُكَّ أَغْلالَ ٱلأَسيرِ
وَدَعاكَ لِلْعَمَلِ السَّريعِ   لِصَدِّ نَوْباتِ الدُّهُورِ
وَحَماكَ مِنْ جَوْرِ ٱلْعِدا   وَبِوُدِّهِ أَلاّ تَجُوري
قَدْ ظَلَّ يَعْمَلُ مُؤْثِراً   كَتْماً عَلى الصّيتِ الشَّهيرِ
فَجَزَيْتِ حُسْنَ جَميلِهِ   "بِعُقُودِ" كُفْرِكِ وَالنُّفُورِ
فَلِذا تَرَحَّلَ شاكِياً   ظُلْمَ ٱلْمُجارِ عَلى ٱلْمُجيرِ

*****

أَنَعيمُ قَدْ حُمَّ ٱلْقَضاءُ   وَلا رُجُوعَ عَنِ ٱلْمَصيرِ
أَزْمَعْتَ مَكْثاً في ٱلْجِنانِ   بِقُرْبِ وُلْدانٍ وَحُورِ
وَتَرَكْتَ ذِكْراً طاهِراً   مُتَشَعِّباً جَمَّ السُّطُورِ
وَٱلذِكْرُ باقٍ، عِطْرُهُ   شاذٍ، تَوَرَّنَ بالعَبيرِ
سَيَظَلُّ ذِكْرُكَ خالِداً   حَيّاً إلى يَوْمِ النُّشُورِ

القدس، 1989

في الذكرى الثلاثين لوفاة الاستاذ الكبير صالح طويق

للشاعر والأديب المحامي سليم شعشوع

عُمْرُ الأديبِ رِسَـالَةٌ وَمَهَامُ — وَعَزِيمَةٌ قَدْ زَانَهَا الإِقْدَامُ
فَيرَاعُهُ كَالمِبْضعِ المُسْتَلِ فِيهِ — صِحَةً وَمَنَاعَةٌ وَسَـلامُ
يَشْـقَى لِيُسْـعِدَ غَيْرَهُ بِشَقَائِهِ — وَيُقارِعُ الآفاتَ وَهِي جِسَامُ
وَيَظَلُ فِي دُجنِ اللَيَالِي سَاهِرًا — أبَـدًا يُفكرُ والأنـامُ نِيـامُ
وَيدقُ أعناقَ الصعابِ فتنجلِي — ويرومُ عَدلاً فِي الوَرَى فيقامُ

*****

حربُ الحياةِ مَع الأديبِ لئيمةٌ — وعديمـةُ الأندادِ فَهِيَ حَرامُ
إنَ الحيـاةَ بِنصرها موتٌ لهُ — وبنصرهِ عَيـشٌ لهَا ودوامُ
تبًا لَها إذْ تَستبيحَ نصرهَا — وهُو الشريفُ الأعزلُ الهمامُ

*****

أسَفى على الأيامِ أضْنتْ صالحًا — هـذا الّذي صَلُحَتْ بِه الأيامُ
بـدرُ العلومِ لقد كبَـا فِي أفقهِ — فخَبَا الضّياءُ بنَا وحَلَ ظَلامُ
وتيتمَتْ بوفاتهِ الآمـالُ والأفكارُ — والقرطـاسُ والأقـلامُ
ومشَـتْ مَواكبُها تُشـيعُ كاتبًا — مَا أنجبتْ من مِثلهِ الأرحامُ
فَـذُ الشـمَائِلِ صِيتهُ بَلغَ المَدى — وعلومُهُ سَـعِدتْ بها الأقوامُ

*****

لَهفِي عَلى الصُحفِ الحزينةِ كم يطولُ — حَدادُهـا وتَسـودُها الآلامُ
أسَـفِي عَلى لَحْـدٍ يضيقُ بِصالحٍ — وَبقلبنـا كَفـنٌ لَـهُ ومُقامُ

عظمة صالح طويق في تواضعه
وفي نضاله حتى الرمق الأخير من أجل كرامة الانسان

للأستاذ الدكتور محمود عباسي

لو أراد أي أديب أو صحافي يملك الطاقات الهائلة التي كان يتمتع بها صالح طويق، أن يصل الى قمة المجد والثراء لحقق مأربه دون عناء، ولكن فقيد الأدب والصحافة العربية صالح نعيم طويق كلل جميع أعماله الأدبية والنقدية والصحافية العملاقة باكليل غار من التواضع مثبتا قول اينشتاين المأثور بأن القيمة الحقيقية للانسان تقاس بمدى تحرره من كلمة "أنا".

وقد طبق الفقيد هذه الحكمة على نفسه تطبيقا محكما، مفضلا الانزواء والابتعاد عن الأضواء.

لقد تسنى لي ان أعرف صالح طويق من خلال أحاديثه الأذاعية - صباح الخير - وقبل أن تنام - ولا أبالغ القول ان هذه الكلمات كانت تبعث في النفوس الامل وسط قبح وهستيرية الاحداث التي نعانيها، كانت بمثابة نسمة عليلة تبعث الطمأنينة في النفس فتغفو العيون مطمئنة بعد سماعها لكلماته الرقيقة المرهفة الحس.

ثم فوجئت من خلال مقابلة أجراها معه الصديق البروفيسور الحصيف شموئيل موريه، بالرصيد الضخم لهذا الرجل المغبون الحق في دوره الأدبي والصحافي في أرض الرافدين كونه واحدا من أعظم أعلام الصحافة والأدب فيها. وارتاحت نفسي لمبادئ الرجل المتجذرة في نفسه وايمانه بالسلام والديمقراطية والعدل الاجتماعي ومكافحة العنصرية والتيارات المسمومة المعادية للانسانية دون هوادة مهما كلفه ذلك من أضطهاد وملاحقات والاخلاص لوطنه الاصلي العراق بكل جوارحه.

وبعد نشر هذا اللقاء أتحفني الفقيد بسلسلة من المقالات القيمة تتناول مواضيع هامة في الأدب العالمي وصلني آخرها قبل وفاته بمدة وجيزة، وقد رحل الى عالم الأزل قبل نشر هذا المقال الهام عن الأدب والأدباء.

وقد قررت أن أضمه الى الملف الخاص الذي تكرسه الشرق لهذا العلم البارز والأديب الأصيل من الأدباء الذين دعموا مجلة الشرق دعما حقيقيا بكل مفهوم الكلمة، فلم يكد عدد من اعداد الشرق يخلو من مقال له، دون ان يتقاضى على ذلك أي أجر أدبي، انما كان يصر أن يدفع اشتراكه في المجلة باستمرار.

ان هذا الملف التكريمي لفقيدنا بمثابة نقطة في بحر مما يستحقه، آملين أن نكون قد عبرنا بذلك عن بعض من الوفاء لذكرى المرحوم.

طيب الله ثراه وألهم ذويه وأصدقاءه الصبر والسلوان والعزاء...

شخصيات يهودية عراقية

صالح (نعيم) طويق..
شخصية فذّة في تاريخ الصحافة العراقية..
أُنسِيَتْ حقاً؟

- مازن لطيف

الحقيقة تؤكد أن لكل عمر أجل مسمى. قال الحسن الوزان أو ليون الأفريقي إن العمر سلف سنين يقترضها العبد من ديان الكون الأكبر، ليعود إليه بعد حين مطالَباً ومحاسَباً عما فعلتْ أو اقترفت يداه، وميزانها وحسابها ما جَنَت النفس من أفعالها، ألا وهو مقياس السبب والنتيجة والسعي والمنجز، وما يتركه الإنسان بعده، (ليس للإنسان إلا ما سعى)، حين إياب الروح لمنشئها الأول راضية مرضية .. ولتكن رحلتنا الآن من خلال ذكريات وخواطر الصحفي الكبير صالح (نعيم) طويق تفيد زاداً لمن اعتبر.

شكّل يهود العراق الجزء الأكبر من الطبقة المتوسطة، وخاصةً يهود بغداد في مطلع القرن العشرين، وقد لعبت النخب اليهودية دوراً واضحاً وكبيراً في تشييد أركان الثقافة والاقتصاد والسياسة والصحافة العراقية. برزت في هذا الميدان أسماء لامعة منذ بداية القرن العشرين، ولعب بعض العراقيين اليهود دوراً متميّزاً في مجال الصحافة، ممن ذكرت أسماؤهم في مقالات عدة: سليم البصون، أنور شاؤل، مراد العماري، منشي زعرور، شالوم درويش، وغيرهم.. أما هنا فنذكر منهم مبدعاً ترك بصماته خلال رحلة العمر على ناصع صفحات صاحبة الجلالة الصحافة العراقية .. ألا وهو صالح طويق، صاحب الباع الطويل والتجربة الثرية التي تحمل خواطر الأزمنة وتراكمات الحدث، والذي كانت مساهماته لا تقدّر بثمن .. صحفي نقش على رايته صفة التواضع التي ليس لها حدود، يعمل

خلف الكواليس لكن بصماته واضحة، ولهذا السبب لم يترك أية مذكرات، ذلك لكي يتجنب التحدث عن نفسه. اسمه الرسمي هو صالح طويق، لكنه كان معروفاً أيضاً باسم "نعيم طويق" ..

ولد في بغداد عام 1916 من أسرة معروفة وتخرج من مدرسة الأليانس عام 1934. نُشِر أول عمل له وهو طالب في المرحلة المنتهية عن عمر يناهز الرابعة عشر فقط، حين ترجم عن الفرنسية قصة من الأدب التركي نشرت في مجلة الحاصد التي ترأس تحريرها الأديب والمحامي أنور شاؤل. ومن الجدير أن يذكر في هذا الصدد، أن مجلة سورية شهيرة (مجلة الحديث الشهرية للأديب الكبير الكيالي) اقتبست تلك القصة عن الحاصد وأطلقت على مترجمها لقب (الأستاذ الأديب) وذلك لكونها قصة مترجمة بصورة فنية، ذات مضمون أصيل وأسلوب شيّق، وبناءً على ذلك لابد أن يكون مترجمها أستاذاً أو أديباً يشار إليه بالبنان.

بدأ طويق عمله الصحفي في عام 1934 إذ عُيّن محرراً في صحيفة الأهالي، وبعد غلقها اضطر إلى العمل في صحف أخرى، منها المبدأ، وصوت الأهالي، وصدى الأهالي، والطريق، والرأي العام، والحوادث، وفي نهاية المطاف صحيفة الزمان. كان عمله الصحفي يشمل تحرير الأخبار الخارجية والتعليق عليها وترجمة المقالات السياسية بما في ذلك الافتتاحيات التي عبر فيها بكل صراحة وبلاغة ووضوح عن عقيدته الوطنية الديمقراطية والتقدمية.

وكان طويق متضلعاً بثلاث لغات: العربية والفرنسية والانكليزية. ومن منجزاته أنه استحدث طريقة خاصة لنقل الأنباء من الإذاعات العالمية باللغتين الانكليزية والفرنسية، والقيام بترجمتها مباشرةً إلى العربية بطريقة اختزال خاصة، ونَشْرها في الصحيفة على الفور. وهذه مساهمة جادة في الصحافة العراقية، حيث تيسّر للقارئ العراقي الاطلاع على الأخبار والأحداث مباشرةً وبسرعة فائقة.

هذه الخطوة لم يكن لها وجود في العراق، في وقتٍ لم تتوفر فيه وسائل الإعلام الحديثة (من مسجلات وغيرها)، فقد كانت الصحف العراقية قبل هذا السبق، تقتني الصحف العالمية بعد صدورها وتقوم بترجمة أنبائها ونشرها باللغة العربية في اليوم التالي فقط.

وقد كان لعمله هذا، وهو الأول من نوعه في العراق، أهمية خاصة وجليّة خلال الحرب العالمية الثانية، إذ ساعد على تزويد القراء بأحدث الأنباء الحربية والسياسية يوماً بعد يوم، وخطابات أقطاب الدول الحليفة المحاربة ضد النازية والفاشية. إضافةً إلى ذلك، استحدث باباً خاصاً باسم (قالت صحف العالم أمس)، وجعل مصدر ذلك الباب أغلب محطات الإذاعة العالمية التي تذيع بالانكليزية والفرنسية، مما كان يتتبعه القراء باهتمام بالغ. ومما يذكر في هذا الصدد، أن في إحدى فترات العمل العصيبة سنة 1941 التي تطلبت منه العمل حتى ساعات الصباح، في تلك الفترة انتقلت والدته الحنون للعيش في غرفة صغيرة على سطح بناية جريدة الزمان ذاتها، وذلك حرصاً على عودة ولدها الوحيد إلى (بيته) بأسرع ما يمكن بعد إنهاء عمله. فيالها من تضحية لولد حريص ولأم حنون قلقة.

أثرى طويق الفكر والأدب العربي بترجمة العديد من المواضيع الأدبية لكتاب من ذوي الشهرة العالمية، منهم: بلزاك، وهيجو، ودوديه، وأناتول فرانس، وموليير، وفولتير، وغيرهم. فقد بدأ بممارسة هذه الترجمة وكان عمره لا يتعدى 13 عاماً ... وبعد أعوام انتمى إلى الحزب الوطني الديمقراطي الذي تأسس عام 1946 بزعامة رجل السياسة المعروف والوزير السابق كامل الجادرجي، لأنه شعر أن هذا الحزب هو الأقرب إلى توجهاته الديمقراطية .. عمل سنوات طويلة مع كامل الجادرجي وكان من المقربين إليه، وكتب مقالاته السياسية لصحافة الحزب إلى أن حل الحزب بصورة نهائية عام 1963. ويذكر الشاعر والصحفي مراد العماري وهو من أصدقائه المقربين، أن طويق ترك العمل الصحفي بعد انقلاب 8 شباط عام 1963، ولكنه لم يقطع صلته بالجادرجي حتى يوم وفاته عام 1968. فقد كان الجادرجي يدعوه إلى داره ويكتب معه المذكرات السياسية الخطيرة في وقتٍ كان أقرب الناس إليه يخشون زيارته .. وقد كافأه الجادرجي في مذكراته بجزاء سنمار، إذ لم يذكر اسمه أبداً في مذكراته بل ذكره بعبارة "أحد المحررين" وهو يقصد طويق بالتأكيد. ولعل العذر الوحيد الذي سيورده الجادرجي لِمقرَّبِه نعيم وهما في جنات الخلود هو أنه فعل ما فعل لكون نعيمنا حريصاً على التحرر من كلمة "أنا".

ولابد أن نذكر هنا إن الزعيم عبد الكريم قاسم كان يجلس مع طويق قبل ثورة تموز ساعات طويلة يستمع ويطّلع على آخر الأخبار دون أن ينبس ببنت شفة، فقد كان الجميع يقولون إنه كان يلتزم الصمت بشكل منقطع النظير ..

ترك طويق العمل الصحفي نهائياً بعد انقلاب 8 شباط 1963 بعد خدمة متواصلة دامت ثلاثين عاماً كاملاً من العمل المرهق. ولكسب العيش اشتغل محاسباً في إحدى الشركات التجارية بعد أن شعر بانعدام حرية الرأي والتعبير في المجال الصحفي بالعراق.

غادر طويق موطنه، وموطن أجداده منذ 2600 سنة، عام 1973 بسبب الاضطهاد والملاحقة، مع من غادر من اليهود الوطنيين الذين كانوا قد تمسكوا أجيالاً طويلة بتربة العراق بحرص ومحبة. سافر إلى إسرائيل وترك كل ما كان يملكه في بغداد من ذكريات وكتب وأصدقاء.. وهكذا انطوت صفحة لم يحلّ محلّها أيٌّ مثيل، وفي ملاذه الجديد، أيضاً، واصل العمل في الصحافة، وكتب بعد هجرته قسراً مقالات في جريدة "الأنباء" المقدسية تحت عنوان "ذكريات وخواطر". وفي عام 1976 نشر أيضاً سلسلة من المقالات تحت عنوان "أثر المواطنين اليهود في المجتمع العراقي الحديث". وستطبع هذه الطرائف بشكل كتاب تصدره رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق في إسرائيل..

إضافةً إلى ذلك، قام بكتابة العديد من الأحاديث لإذاعة إسرائيل باللغة العربية، منها "كلمة الصباح" و "قبل أن تنام" وشارك في منتدى الأدب والأدباء، كل ذلك إلى جانب عمله كمحاسب في الصناعات الجوية الإسرائيلية. وقد كتب عنه الدكتور محمود عباسي: "إن هذه الكلمات كانت بمثابة نسمة عليلة تبعث الطمأنينة في النفس فتغفو العيون مطمئنة بعد سماعها لكلماته الرقيقة المرهفة الحس". ولعل أنه من الجدير بالذكر أن زوجته المخلصة الراحلة ياسة رافقته المطاف منذ زواجهما عام 1945 وحتى وفاته عام 1989، وقد كانت تقوم بطبع كلماته باللغة العربية ببالغ الفخر والاعتزاز، وكانت له أول أذن صاغية لما كتبه، وهو بدوره لم يبخل بالإطراء في كتاباته على أهمية الدور الذي تلعبه الزوجات المخلصات وأثره في توفير الجو المثالي للزوج المبدع ومسيرته في المجالات الأدبية.

ويصفه أصدقاؤه والمقربون إليه بكونه دائرة معارف إنسانية كبيرة ذات موهبة أدبية وصحفية فريدة، خلقت بشكل إنسان مرهف الحس ذي قلب رحِب، رجل كلّل بإكليل غار من التواضع، مثبتاً قول اينشتاين المأثور إن قيمة الإنسان الحقيقية تقاس بمدى تحرره من كلمة "أنا".

وهكذا يضيع الاستبداد خيرة رجاله، فيشردهم، ولكن لحسن الحظ وجد صالح طويق ملجأً عرف كيف يستفيد من مواهبه وتجاربه، فأغنى صحافتها وقراء العربية في ربوعها. وها نحن الآن ننتظر بفارع الصبر صدور مقالاته الأدبية والاجتماعية لنطّلع على بعض ما دار في العراق في أيام مضت وعلى الأثر القيم الذي خلفه المواطنون اليهود ومنهم فقيد الصحافة والأدب العربي صالح (نعيم) طويق.

الصفحة ٤

قصة اليوم

قصة عراقية

أنين وبكاء

(١)

بين جدران ذلك الكوخ الحقير المهدم الأركان كان صبيا لايتجاوز العقد الاول من حياته مضطجعاً على مهد حقير وهو ينظر تارة هنا واخرى هناك بعينيه الكبيرتين ولم يكن ثوبه كافياً ليحميه من ذلك البرد القارس الشديد لانه كان ممزقا يدل منظره ان لابسه من اولئك التعساء المنكوبين الذين رمت بهم الاقدار بين احضان الحياة .

واخيراً قام من موضعه وقال هذه الكلمات بصوت رنان ياخذ بمجامع القلوب ويذيبها غماً واسى على بؤس صاحبه وشقائه

— اماه .. متى تأتين .. متى تعودين الى .. لقد انهكني الجوع واوهن قواي الالم ... اماه .. انك خرجت صباحا من هنا لنيل بعض دريهمات نسد بها رمقنا مرور الليلة الماضية ..

ولما انتهيت من كلامك حزنت حزنا شديداً أنساني جوعي وهمي وياسي وقلت لك

— لاتفزعي يا اماه فان رجلا يمر بي من هذا الكوخ كل يوم ويعطيني طعاما لآكله .. اذهبي يا اماه .. اذهبي ولا تفكري بي .

وخرجت من بين هذه الجدران ولا اعلم اين ذهبت . ها قد مر بي يوم وليلة وانا بغير طعام .. خرجت هذا اليوم من هذا الكوخ واخذت اسير على قدمي العاريتين النحيلتين واتوسل الى هذا ان يعطيني شيئاً من حقيبته والى ذاك ان يذلي جزءاً صغيراً من الفاكهة التي يحملها بيديه القويتين ولكن تلك المحاولات تذهب سدى وتلك الاقوال ادراج الرياح ..

ما اقسى اولئك الناس وما اشدهم

صورة قصة "أنين وبكاء" التي نشرت في جريدة الاخاء الوطني – 1932/6/30

Photocopy of the story "Moan & Cry" published in the newspaper al-Ekha'e al-Watani – 30/6/1932

١٨ الحاصد

قصة عراقية

سر الرسالة الصفراء

— بقلم نعيم طويق —

تعودنا في الشتاء المنصرم ان نقضي شطراً من الليل في مقهى صغير يقع امام « جامع الحيدرخانة » وقد فضلناه على سواه لخلوه من ضوضاء « الدومنة » و« الطاولي » في اغلب الاحيان فجلس تاديه كنت تراه منهمكاً في المطالعة او في الحديث بصوت خافت ، وكان يستلفت نظرنا في ذلك المقهى شيخ تجعدت وجنتاه ونحل بدنه كان يحمل رسالة صفراء شبه ممزقة الصفت وراءها بعض اوراق ويقتل وقته بتلاوتها ، وهكذا كان شأنه كل ليلة .

وحدث ان جلسنا صدفة الى جانبه ذات ليلة وكانت الرسالة التي نوهت عنها ملقاة على الطاولة فاخذنا نخوض في احاديثنا فر من امامنا فجأة موكب عرس اشار اليه احدنا قائلاً انه لصديقه (س) الذي ظل محجماً عن الزواج مدة من الزمن ، مقتاً منه لمراسيمه ولكنه عاد فعدل عن فكرته هذه لسبب مجهول ، واذا بشيخنا يلتفت الينا بدون تعارف سابق ، اللهم الا بالنظرات التي كنا نتبادلها احياناً ، ويمسك برسالته . . .

ـ حسناً فعل .. وانتم لماذا لا تتزوجون فتريحون انفسكم من هذه المقاهي التي لم تخلق الا للشيوخ العاجزين امثالي ؟ ! .

فاثارت عبارته هذه احاديث ملذة طويلة واخذ هو يستفهم منا ، واحداً واحداً ، عن سبب عدم مبادرتنا الى الزواج ، فكان يفند اجوبتنا ويعتاكه شيء من الغبطة ثم يعود فيبتسم ابتسامة حزينة تكاد تكون مصطنعة فلم يعد رفيقنا (ح) يتملك زمام عواطفه وقاطع انتقاده لنا ، بقوله :

ـ اسمح لي ان أسألك . . هل انت متزوج وهل لك اولاد ؟

فارتسمت على محيا الشيخ كآبة غريبة واخذ يشخص فينا بضع دقائق ، ثم قال ، وكأنه يستعرض ذكريات ماضيه ، بعد ان طوى رسالته باعتناء ووضعها في جيبه بهدوء :

ـ انا ؟ . لا . . ولكن ذلك لا يمنعني عن اسداء هذه النصيحة لكم !

وبان لنا انه يريد ان يسرد علينا الاسباب ولا يتمكن من ذلك مالم نسأله نحن ، فتطوع (ح) الخفيف الروح للقيام بهذه « المهمة » على اشارة منا ، فاعتدل الشيخ آنئذ في مجلسه ، واخذت عيناه تشفان عن أسى عميق كريض يلتقي باحبائه بعد فراق طال امده ، وهو على فراش الموت ، فقال :

ـ سأحاول جهد طاقتي ان اجمل حديثي اليكم مقتضباً ، رغم انه قد يكون في الاسهاب لذة لكم ، ولكن ما العمل والرياح في الخارج تعصف بشدة والمطر يتساقط بغزارة واخشى ان يكون في نيتكم الرجوع الى دوركم قبل الوقت المحدد عادة لبقائكم هنا . . .

فقاطعه (ح) ثانية بصوت مرتفع ملحاً عليه ان يسهب في حديثه ، فأمسك به الشيخ وقال :

ـ حسن .. والآن فيجب ان تتعارفوا قبل كل شيء فقد فاتنا ذلك !

وتم التعارف حسب الاصول ، فاصيب الشيخ فجأة بسعال شديد وتناول كأساً كان الى جانبه وفيه قليل من الماء ، فقربه الى فمه دون ان يمسه ارتشاف ما ، شأنه غالباً عندما كان ينهمك في تلاوة رسالته الصفراء فكان ذلك مبعث اندهاش كبير في نفس (ح) الذي اخذ منذ الابتداء يصغي الى حديثه ويمعن نظره في وجهه بشوق واهتمام لا مزيد عليهما ، واخيراً قال الشيخ :

ـ اما الآن وقد علمتم شيئاً عن هويتي فاعلموا ايضاً انني كنت في اواخر العهد

صورة قصة "سر الرسالة الصفراء" التي نشرت في الحاصد – تموز 1936

Photocopy of the story "The secret of the yellow letter" published in the newspaper al-Hasid – July 1936

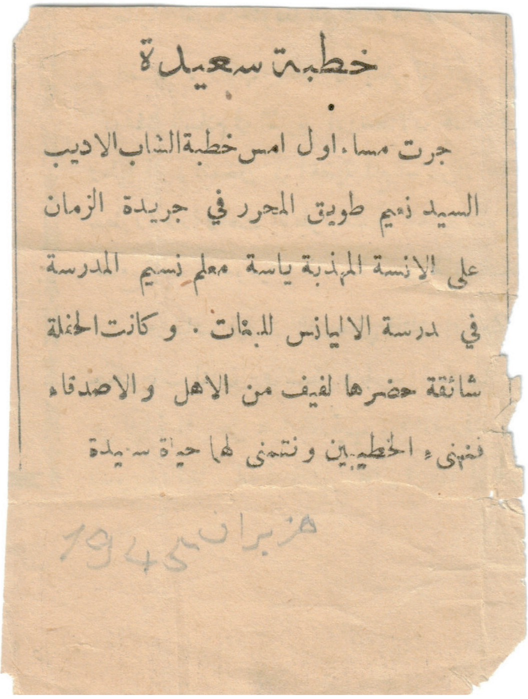

خطبة سعيدة

جرت مساء اول امس خطبة الشاب الاديب
السيد نعيم طويق المحرر في جريدة الزمان
على الانسة المهذبة ياسة معلم نسيم المدرسة
في مدرسة الاليانس للبنات . وكانت الحفلة
شائقة حضرها لفيف من الاهل والاصدقاء
فنهنىء الخطيبين ونتمنى لهما حياة سعيدة

حزيران 1945

صورة نعيم طويق مع الآنسة ياسة معلم نسيم بمناسبة خطوبتهما والاعلان عن هذه المناسبة السعيدة في الصحيفة – حزيران 1945

Photo of Naim Twaig & Miss Yassa Muallem Nessim on their engagement and the greetings published in the newspaper – June 1945

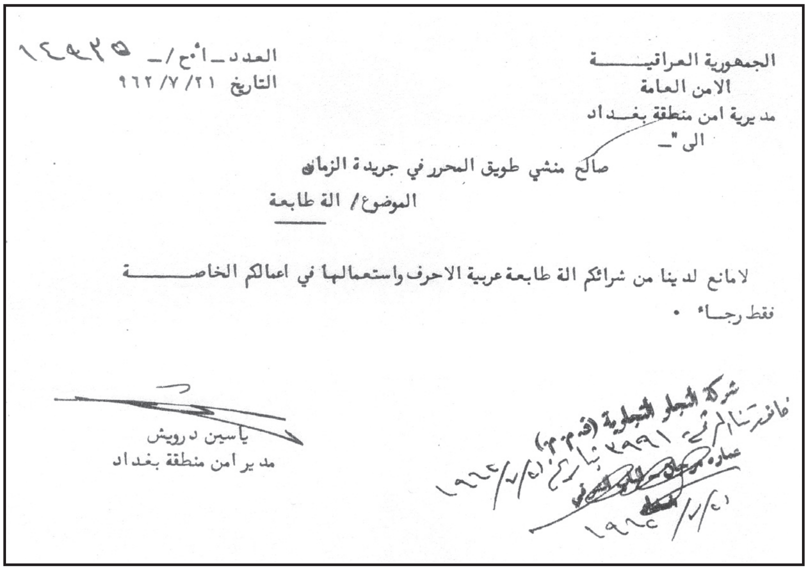

الجمهورية العراقيـــــة
الامن العامة
مديرية امن منطقة بغــداد
الى "_

العدد _ أ م ح /_ ١٢٤٩٢٥
التاريخ ٢١/٧/١٩٦٢

صالح منشي طويق المحرر في جريدة الزمان

الموضوع/ الة طابعة

لامانع لدينا من شرائكم الة طابعة عربية الاحرف واستعمالها في اعمالكم الخاصـــــة
فقط رجـاء ٠

ياسين درويش
مدير امن منطقة بغداد

صورة لآلة الطابعة باللغة العربية وشهادة الموافقة على استعمالها من قبل مديرية الأمن العامة – 21/7/1962

Photo of the Arabic typewriter & the license given by the government for its use – 21/7/1962

صورة من المقابلة مع الاستاذ القبانجي قارئ المقام المشهور في جريدة الزمان – شباط 1958

Photo of the interview with the famous Maqam Singer al-Kubbanchi at al-Zaman newspaper – February 1958

صورة عائلة نعيم طويق مع والدته في حفل خطوبة عائلي – أيار 1967

Photo of Naim Twaig's family with his mother on a family engagement party – May 1967

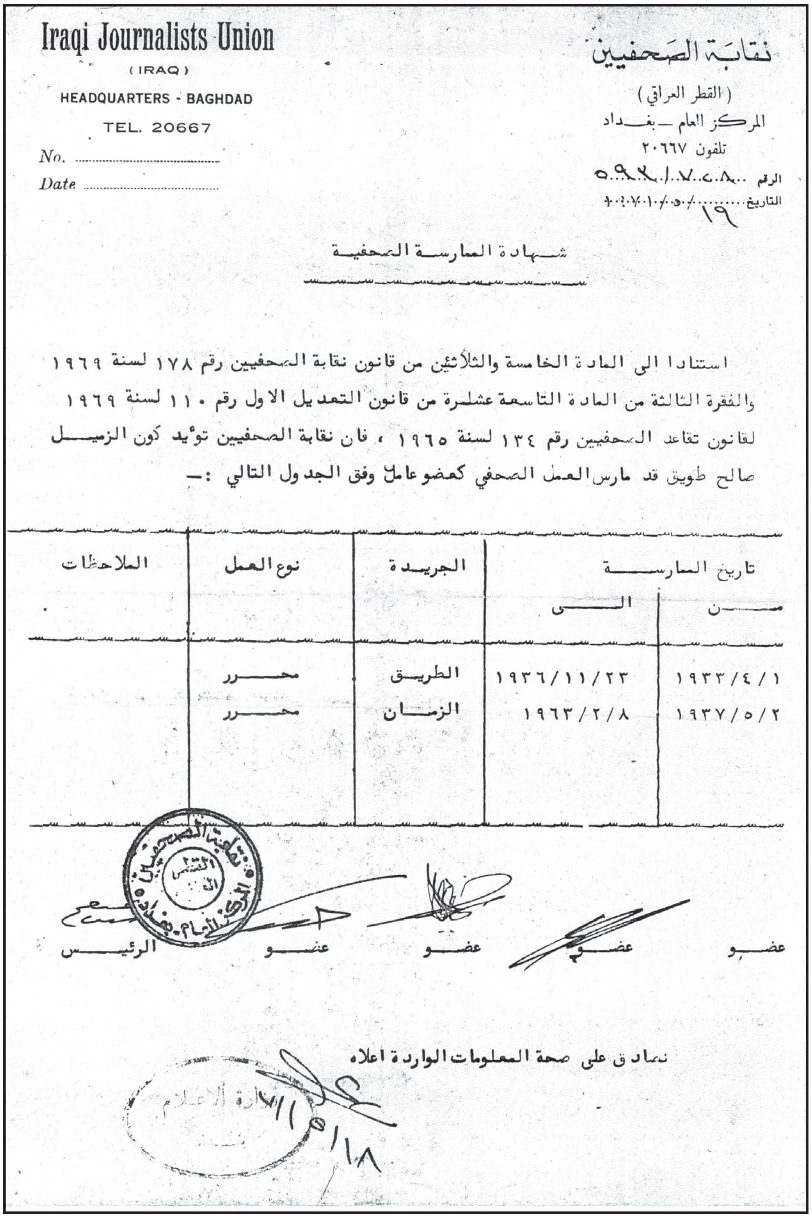

Iraqi Journalists Union
(IRAQ)
HEADQUARTERS - BAGHDAD
TEL. 20667
No. ....
Date ....

نقابة الصحفيين
(القطر العراقي)
المركز العام ــ بغــداد
تلفون ٢٠٦٦٧
الرقم [illegible]
التاريخ [illegible]

شهادة الممارسة الصحفية

استنادا الى المادة الخامسة والثلاثين من قانون نقابة الصحفيين رقم ١٧٨ لسنة ١٩٦٩ والفقرة الثالثة من المادة التاسعة عشرة من قانون التعديل الاول رقم ١١٠ لسنة ١٩٦٩ لقانون تقاعد الصحفيين رقم ١٣٤ لسنة ١٩٦٥ ، فان نقابة الصحفيين تؤيد كون الزميل صالح طويق قد مارس العمل الصحفي كعضو عامل وفق الجدول التالي :ــ

تاريخ الممارسة من	الى	الجريدة	نوع العمل	الملاحظات
١٩٣٣/٤/١	١٩٣٦/١١/٢٣	الطريق	محرر	
١٩٣٧/٥/٢	١٩٦٣/٢/٨	الزمان	محرر	

عضو عضو عضو عضو الرئيس

نصادق على صحة المعلومات الواردة اعلاه

صورة لشهادة من قبل نقابة الصحفيين في العراق لممارسة الصحافة لمدة 30 عاماً منذ عام 1933 وحتى 1963 في صحيفتي الطريق والزمان

Certificate of practicing journalism during 30 years from 1933 till 1963 in the newspapers al-Tariq & al-Zaman

صورته في موكب تشييع جثمان الحاخام ساسون خضوري رحمه الله – 1971
His photo in the funeral service of the late
Rabbi Sasson Khdhouri – 1971

صورته في حفل تأبين الشاعر والأديب المرحوم أنور شاؤول – 1985
His photo in the memorial service of the late
poet Anwar Shaool - 1985

נעבוד ונחיה

עובד ישראל תשל"ח

זאת לתעודה

כי

סאלח טוויג

התעשיה האווירית

זכה בפרס המפעלי

כעובד מצטיין

במבצע עובד ישראל

לעדוד העבודה במשק

בייצור ובשרותים

בראשות

שר האוצר

בהשתתפות

הסתדרות העובדים הכללית

לשכת התאום

של הארגונים הכלכליים

התאחדות התעשיינים

בהדרכת

המכון לפריון העבודה והייצור

מאורגן ע"י

מעריב

صورة لشهادة فوزه بلقب "المستخدم المتميز" لعام 1978 في الصناعات الجوية الأسرائيلية

Photocopy of the certificate of his winning the title of the "distinguished employee" for the year 1978 in the Aerospace Industries in Israel

After the mass emigration of Iraqi Jews to Israel in 1951, and when the forlorn remnants of Babylonian Jewry were subjected to all manner of threats and persecution, Saleh Twaig, who had throughout his life regarded himself first and foremost as an Iraqi, at last decided – and not without a great deal of heart-searching – to leave the land of his birth in 1973. He settled in Israel, where he resumed his career as writer and journalist. He produced numerous literary, and cultural, commentaries for Israeli Radio, contributing to programmes such as 'Kalimat al-Sabah' (A Word for the Morning) and 'Qabla an Tanam' (Before you go to Bed). He was also prolific in his writings for the newspaper Al-Anba′, including a fascinating collection of political and journalistic reminisences of his life in Iraq under the title 'Dhukrayat wa Khawatir' (Memories and Reflections).

Saleh Twaig died on 13th April 1989. His devoted wife Yassa, a distinguished educationist, died in 2007. He left brilliant children, two sons and a daughter.

Nessim J. Dawood
2009

time for the same news to appear in its rivals. Again, he was in this sense the first Iraqi journalist to bring news to the public ‘on-line’.

Apart from his work as writer and journalist, he was active in the politics of the day. He was a man of exceptional charm, integrity and loyalty: he was ever selfless, kind, and generous to a fault; unsparing in his praise of other people’s merits and achievements (as the autobiographical notes he wrote about colleagues and fellow-writers, some of which are contained in this volume, will clearly show). At an early age he embraced Marxism as a philosophy, and his passionate belief in democracy and social justice eventually caused him to be jailed for a number of months (I still remember when, as a small boy, I went with my uncle to see him with some food at the Detention Centre in Baghdad; we were both struck by his cheerfulness and stoic acceptance). But when he finally acknowledged that the Marxist project was beyond rescue, and that the catastrophic Soviet experiment had failed, he spent the rest of his career defending the egalitarian *morality* that he always thought was the core of Marx’s criticisms of the unjust, arbitrary and irrational capitalist system.

He joined the National Democratic Party when it was founded by the former cabinet ministers Kamil al-Chadirchi and Abdul Karim al-Uzri – a progressive party with a socialist / liberal agenda dedicated to the proposition that all Iraqis were equal, regardless of race, sect or religion. In this context, it should be mentioned that Saleh Twaig was Chadirchi’s life-long right-hand associate; he wrote all the leading editorials for the Party’s newspaper as well as its manifestoes and communiqués. His loyalty to Chadirchi was unwavering, and it is a sad reflection on Chadirchi that he made not a single mention of his devoted adherent in his memoirs, referring once only to this outstanding man as ‘one of the sub-editors…’. The Party, however, was finally, and inevitably, banned by the Ba′th party in 1963. After the assassination of the liberal and much-respected Prime Minister General Abdul Karim Qassim, who had counted Saleh Twaig as one of his devoted friends, he gave up journalism for good, and worked as an accountant for a commercial company.

FOREWORD
SALEH (NA'IM) TWAIG

Saleh (Na′im) Twaig had the distinction of being the first full-time, dedicated, professional Jewish writer and journalist in Iraq. While there was, during his time, quite a galaxy of Jewish men of letters who contributed regularly to the burgeoning Iraqi press, they almost without exception earned their living as doctors, lawyers, teachers and civil servants, or from employment in commercial enterprises.

Born in 1916, he graduated from the Alliance Israelite School in Baghdad in 1934. He began his career at an early age, contributing stories and essays to a variety of Iraqi newspapers and magazines that were extant in the thirties. His first translation of a story from French, when he was 14, appeared in a Syrian magazine, whose editor, unaware of the author's age, referred to him as Professor and Man of Letters. Other articles and essays were also published in the newspaper 'Ikha'a al-Watani' in 1930.

Saleh Twaig started his career as a creative writer and journalist in earnest in 1934 when he was appointed a sub-editor at Al-Ahali newspaper, whose editor was the lawyer and political activist Abdul Qadir Isma′il. In the meantime, he contributed regularly to the pioneering literary magazine Al-Hasid, whose founder and editor was the distinguished poet and man of letters Anwar Sha'ul. When Al-Ahali was banned and closed down by the government of the day, he worked for a succession of newspapers, including Al-Mabda', owned by the Iraqi political leader Ja'far Abu al-Timman, Sawt al-Ahali, whose owner and editor was Kamil al-Chadirchi, and Al-Zaman, whose owner and editor was Tawfiq al-Sam′ani.

Saleh Twaig was remarkably innovative in his field. During World War II he was the first journalist to invent a shorthand of his own whereby he took down the latest news as broadcast from English and French radio stations, simultaneously translating into Arabic up-to-date coverage of the war for his newspaper, while it took double that

In fact, if one looks at the picture portrayed on these pages, one can see your own situation today. A young generation making its way in this world, with all the struggles for survival that it faces. Young persons in their twenties or thirties aiming with tireless energy at a bright and promising future. They firmly believe in the righteousness of their way, they educate themselves, and begin to stamp their image on their own work. This is a picture of your life today, and such was the picture of your Grandpa's in the thirties of the last century.

We, your parents, can understand the connection between the two worlds; we realise that the content didn't change but just the shape, the colours, and the means.

Saba Naim had decided after much heart-searching, to emigrate and to leave behind a precious legacy in the land of his birth. After his children's departure, he stared at the walls of his forlorn, empty house and said to Grandma: 'A house without children is just a skeleton of bricks; we must join them.' At the age of 57 he made his way to Israel and started all over again, from scratch.

His literary genius flowered again in his new homeland, but this time it derived its creativity from memories and reflections, while his original written words remained in the far-away land he left behind.

This book is a document which faithfully reflects the influence of Jewish intellectuals not only on Iraqi literature and journalism; it also depicts Iraqi social life in days gone by.

To you, 'grandchildren', this book is dedicated, and you will treasure it with pride and pleasure.

Itzhak, Ygal Twaig and Rachel Khalastchi

DEDICATION

To our dear sons and daughters:

Ronit Mann, Eli and Shira Khalastchi, Oren, Guy and Tomer Twaig; to the dear grandchildren of the late Grandpa Naim and Grandma Yasa Twaig, may their souls rest in peace.

When Grandpa (Saba) Naim passed away on the 13th of April 1989, his eldest granddaughter Ronit was only 13 years of age, and the youngest grandson Tomer only one-and-a half years old. All of you got to know who Saba Naim was, and you all ran to jump and sit in his affectionate lap, in order to be showered by the great love he offered from the bottom of his heart, and to win your share of indulgence that you waited for.

You who can remember more, or who can remember less, could always sense the noble spirit of this man called Saba, whom you loved dearly. However, your tender age didn't enable you to comprehend his mind or appreciate the distinguished work he left behind.

This book is just a small part of that great work, and it is dedicated to each one of you in person. In this book, Saba documented what came to pass in the thirties of the twentieth century in his homeland, Iraq – for he was a part of that history. Saba's work is your very root, and the individual history of each of you, because you are his heirs and descendents.

Not knowing Arabic, you cannot fathom the significance of this book. It documents another life in another language; in another century and in another country that you never knew. So why have you to be reminded of that period? A period in which the media was just the newspaper and the radio; not even the television, let alone the computer – the connecting tool that you now take for granted. A world in which the written word of prose and poetry fell like a drop of refreshing water to quench the thirst of its readers.

32. Shlomo Shapira, *The Bread of the Bird*, Poems, translated into Arabic by Samir Naqqash, Jerusalem, 2006.
33. Sigal Shapira, *Al Bustan* (The Orchard), Short Stories, translated into Arabic by Samir Naqqash, Jerusalem, 2007. (In Hebrew & Arabic)
34. Ya'acov Lev (Balbul), The First Ember & Selected short Stories and Sonnetsin Arabic and Hebrew, Jerusalem, 2006.
35. Salim Fattal, *An Idol in the Temple of the Israeli Academy*, Jerusalem, Rubin Mass & the Association JAI, 2010. (In Hebrew)
36. Nissim Kazzaz, *Warrior and Scholar, Memoirs,* Jerusalem, Rubin Mass & the Association JAI, 2010. (In Hebrew)
37. Shaul Haddad, *The Wheel of Fortune* (Galgal Hozeir), [Iraqi Novella], Jerusalem, 2010.
38. Nathan Aluf, *I was a Wireless Operator in the Iraqi Signal Corpse*, Jerusalem, ٢٠١٠.
39. Naim Twaig, *Memories and Reflections,* Jerusalem, 2011-2012.
40. Baruch Meiri, *Water Melon's Seeds*, Jerusalem, 2011.
41. Meir Mu'allim, *In my Way to Prison*, Jerusalem, 2011.
42. Murad Alimari, *Selected Poems and his Autobiography,* Jerusalem, 2011.
43. Gid'on Shammash, My Life's Journey in Iraq, Jerusalem, 2011.
44. Menahem Aloni, Pathes of Life (Autobiography), Jerusalem, 2011.
45. Nilly Gabbay, *The Jewish Woman in Baghdad,* Processes of Change in her Social Status during the First Half of the Twentieth Century, Jerusalem, 2006. (Salih R. Masri's Libarary no. 5).

11. Meer S. Basri, *Songs of Love and Eternity*, Poems, Jerusalem, 1991, 270 pages.
12. Meer S. Basri, *Life's Journey from the Banks of the Tigris to the Valley of the Thames*, Reminiscences and Thoughts, Jerusalem, 1991, 270 pages.
13. Meer S. Basri, *Eminent Jewish Men of Modern Iraq*, (Biographies), vol. II, Jerusalem, 1993, 150 pages.
14. Samir Naqqash, *Prophesies of a Mad Man in a Cursed City*, Short Stories, Jerusalem, 1995, 150 pages.
15. Gila Yona-Swery and Rahamim Rejwan, *Dictionary of Iraqi Judeo-Arabic Dialect*, Jerusalem, 1995, 348 pages.
16. Shmuel Moreh, *The Tree and the Branch*, Studies in Modern Arabic Literature and Contributions of Iraqi-Jewish Writers, Selected and Edited by Olga Bramson, Jerusalem, Magnes 1997, 414 pages.
17. Shmuel Moreh, *Those were the Days of Lone and Youth (Tilka Ayyamu 'l Siba)*, Poems in Arabic and English with a biographical Introduction in Arabic. Jerusalem, 1998.
18. Nissim Rejwan, *Arabs and Jews, Retrospect and Prospects*, Jerusalem, 1998.
19. Nissim Rejwan, *The Jews of Iraq*: *From the Babylonian Captivity to their Emigration of 1951*, Jerusalem, 1998.
20. Abraham Obadiah, *Thorn Roses and Thistles*, Poems, Jerusalem, 1998.
21. Abraham Obadiah, *In the Field of Arabic Literature*, Writers and Poets, Jerusalem, 1999,
22. Abraham Obadiah, *In the Realm of the Iraqi Maqam and Songs*, Jerusalem, 1999.
23. Saul Hakham Sassoon, *In the Hell of Saddam Husayn*, 365 Days in Qasr al-Nihaya, Jerusalem, 1999.
24. Shaul Hakham Sassoon, *A Leader and His Community*, Jerusalem, 1999.
25. Esperance Moreh-Cohen, *From my own Experience in Life*, Jerusalem, 2000.
26. Yaakov Levy, *Popular Arab Tales from the Holy Land (1939-1996)*, Jerusalem, 2002.
27. Abraham Obadiah, *My Poetry in 60 Years*, Jerusalem, 2003.
28. Gad Ben-Meir, *The Nightingales of Intimacy* (Romantic Poems), Jerusalem, 2004.
29. Gad Ben-Meir, *O Manal, O My Manal* (Popular songs in Egyptian Dialect), Jerusalem, 2004,
30. Isaac Bar-Moshe, *Two Days in June*, (on the Farhud), Jerusalem, 2004.
31. Abraham Obadiah, *Iraqi Singers and Songs*: Biographies and Text, Jerusalem, 2005.

This book is published with the kind support of The Exilarch Foundation, London
©
Copyright 2012 by the Association of Jewish Academics from Iraq and the author and his immediate family
All rights reserved. No part of this book may be reproduced or translated in any form, by print, photo print, microfilm, microfiche or any other means without written permission of the Author and the Association.

Association of Jewish Academics from Iraq
P.O.B. 1147, Mevasseret, Jerusalem 90805, Israel
Tel. & Fax: 972-2-5341044
E-mail: AssociationAJAJ507@gmail.com

Publications:

1. Adv. Anwar Shaul, *The Story of my Life in Mesopotamia* (Memoirs), Jerusalem, 1980.
2. Dr. Salman Darwish, *All Quiet in the Surgery* (Memoirs), Jerusalem, 1981.
3. Shmuel Moreh, S*hort Stories by Jewish Writers from Iraq, 1924-1978*, Edited with Introduction in English, Hebrew & Arabic by Shmuel Moreh, Jerusalem, The Magnes Press, The Hebrew University, 1981.300,39,38 pages.
4. Anwar Shaul, *And a New Dawn Broke* (Poems), Jerusalem, 1938, 184, 8 pages.
5. Isaac Bar-Moshe, *A House in Baghdad*, Jerusalem, 1983, 420 pages.
6. Meer S. Basri, *Eminent Jewish Men of Modern Iraq*, (Biographies), vol. I, Jerusalem, 1983, 114 pages.
7. Samir Naqqash, *Tenants and Cobwebs*, Iraqi Novel, Jerusalem, 1986, 432 pages.
8. Samir Naqqash, *The Chilly People a Play*, Jerusalem-Shfar-'Am, 1990, 158 pages.
9. Abraham Obadiah, *A Cry from the Abolished Iraqi Regime*, Poems, Jerusalem-Shfar-'Am, 1990, 112 pages.
10. Abraham Obadiah, *The Confused Thirst*, Poems, Jerusalem-Shfar-'Am, 1990, 96 pages.

Association of Jewish Academics from Iraq

P.O.B. 1147, Mevasseret Jerusalem 90805, Israel

Tel. & Fax : 972-2-5341044; Mobile: 0505-604 194

E-mail: moreh2007@hotmail.com

Association No. 58-002-178-0

The Association of Jewish Academics from Iraq was established in July 1980. This is a scientific, social and literary association, which is not political and non-profit making, Its purpose is toe enable the publication of scholarly and literary works and research on the Jews of Iraq, as well as cooperation with academic association for the furtherance of the interests of Jewish academics from Iraq.

Honorary President: Prof.. Naim Dangoor, O.B.E. (London)

Board of Directors: Prof. Shmuel Moreh, Chairman; Adv. Yahizkael Fattal, Acting Chairman; Adv. Shaul Bar-Haim, Deputy; Prof. Yosef Gabbay; Dr. Nissim Kazzaz; Dr. David Sagiv; Mr. Abraham Kahila; Mr. Ezra Morad.

Committee of controllers. Dr. Sigal Goorji, Mrs. Osant Abrahami, Mr. Naim Halabi

Accountant: Zadoq Halevi; Dalya Ma'yan.

Publications supported by The Exilarch Foundation Prof. Naim Dangoor, O.B.E. (London)

1. Salim Fattal, An Idol in the Temple of the Israeli Academy, Jerusalem, Rubin Mass & the Association JAI., 2010. (Publication no. 35- AJAI)
2. Nissim Kazzaz, Warrior and Scholar, Memoirs, Jerusalem, Rubin Mass & the Association JAI. 2010. (Publication no. 36 - AJAI)
3. Shaul Haddad, The Wheel of Fortune (Galgal Hozeir), [Iraqi Novella], Jerusalem, 2010. (Publication no. 37 - AJAI)
4. Nathan Aluf, I was a Wireless Operator in the Iraqi Signal Corpse, Jerusalem, 2011. (Publication no. 38 - AJAI)
5. Naim Twaig, Jewish Influence on Iraq, Jerusalem, 2011. (Publication no. 39 - AJAI)
6. Baruch Meiri, Water Melon's Seeds, Jerusalem, 2011. (Publication no. 40 - AJAI)
7. Meir Mu'allim, In my Way to Prison, Jerusalem, 2011. (Publication no. 41 - AJAI)
8. Murad Alimari, Selected Poems of Murad Alimari, Jerusalem, 2011. (Publication no. 42 - AJAI)

Memories and Reflections
Collected Articles

Saleh Na'im Twaig

Edited by
Shmuel Moreh

Jerusalem, Association of Jewish
Academics from Iraq

2011-2012